جمهورية تركيا

جامعة تشانكري كاراتكين

معهد العلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية

بُكاء الزوجة ما بين الغزل القديم والرومانسية الحديثة

الشاعران ديك الجن الحمصي ونزار قباني نموذجاً

حازم حسن العلي

أطروحة ماجستير

المشرف

د. بكر يلدرم

جانكيري – 2023

جمهورية تركيا

جامعة تشانكري كاراتكين

معهد العلوم الاجتماعية

العلوم الإسلامية الأساسية

قسم اللغة العربية

بُكاء الزوجة ما بين الغزل القديم والرومانسية الحديثة

الشاعران ديك الجن الحمصي ونزار قباني نموذجاً

حازم حسن العلي

أطروحة ماجستير

جانكيري –2023

المحتويات

شكر وتقدير..... IV

بيان أخلاقيات البحث العلمي V

االمقدمة..... VII

المُلخص XIV

ZETONAY XV

ABSTRACT XVI

تمهيد 1

-نظرة عامة على الشعر العربي في بعض مراحله: 1

1.المبحث الأول 5

الغَزَل وتطوره عبر العصور عامة، والعباسي خاصة 5

1.1. المطلب الأول: الغزل – تعريفه ونشأته –أنواعه: 5

.2.1.1.. موقف الإسلام من الغزل: 5

3.1.1. التداخل والتمازج بين الغزل والرثاء (الغزل الرثائي وبكاء الأحبة): 7

4.1.1.. الأنواع الرئيسة للغزل (العذري – الصريح): 9

.1.4.1.1.. الغزل العذري: 9

.2.4.1.1.. الغزل الصريح: 10

.2.1..المطلب الثاني : العوامل المؤثرة في شعر الغزل باختلاف العصر وأحواله: 12

1.2.1.الغزل وتأثره ببيئة وطبائع العصر الجاهلي: 12

.2.2.1..أثر العامل الديني وظهور الإسلام في شعر الغزل: 15

.3.2.1..أثر العامل السياسي والمكاني في الغزل الحضري للعصرالأموي: 16

.3.1..المطلب الثالث : الغزل في المرحلة الذهبية للعصر العباسي: 18

1.3.1.أشهر أنواع الغزل في العصر العباسي: 19

.1.1.3.1..الغزل بالمذكّر (الغُلام): 19

.2.1.3.1..الغزل بالغلاميات (المُتَشبّهة بالغلام): 21

.3.1.3.1..الغزل بالجواري: 21

.4.1.3.1.غزل الكهول: 22

.5.1.3.1.الغزل العفيف: 23

.6.1.3.1..غزل مَطلع (مقدمة) القصيدة: 24

2. المبحث الثاني 27

الاتجاه الرومانسي في الأدب الحديث 27

.1.2.. المطلب الأول: الرومانسية – المفهوم والنشأة: 27

.1.1.2.. أسباب نشأة الرومانسية في الأدب العربي الحديث: 28
.1.1.1.2.. الاحتكاك بالغرب:.....28
2.1.1.2. تأثير مدرسة الديوان:.....28
3.1.1.2.. جماعة أبولو:.....29
2.2. المطلب الثاني: خصائص أشعار الغزل والحب لدى الرومانسيين العرب: 30
1.2.2.. عاطفة الحب السّامِية:.....30
2.2.2. الهروب إلى الطبيعة:.....32
3.2.2.. الإغراق في الذاتيّة: 34
4.2.2.. المرأة والغزل- متلازمة الحب والموت: 36
5.2.2.. الإكثار من استخدام الرمز:.....38
6.2.2.. الخيال الجامِح والصورة الفنية:.....40
7.2.2.. التّجديد في الشكل والمضمون:.....42
3. المبحث الثالث.....46
الغَزَل والنّزعة الرومانسية لدى الشاعرَين ديك الجن الحمصي ونزار قبّاني(دراسة مقارنة).....46
1.3.. المطلب الأول : الشاعر ديك الجن الحمصي: 46
1.1.3.. اسمه وسبب لقب (ديك الجن): 47
2.1.3.. آثاره الشعرية وضياعها:.....47
3.1.3. رأي بعض الأدباء والمؤرخين القدامى بشِعر ديك الجن: 48
4.1.3.. أثَر العامل السياسي والديني في ديك الجن وشعره: 49
5.1.3.. أبرز الأغراض الشعرية لديك الجن الحمصي:.....50
1.5.1.3..الرثاء: ففي رثائه لأهل البيت يقول: 51
2.5.1.3..المدح: جاء في مدحه لآل البيت ومحبتهم: 51
3.5.1.3..الغزل قبل مرحلة الزوجة:.....52
6.1.3.. قَتلُ ديك الجن لزوجته وبداية المأساة:.....53
7.1.3.. الغربة الرّوحيّة عند ديك الجن الحمصي:.....55
2.3.. المطلب الثاني: مَلامِح الرومانسية في الحب وبكاء الزوجة عند ديك الجن:.....56
1.2.3.. مَلمح مُتَلازِمة الحبّ والموت: 57
2.2.3.. مَلمح الألم والنّدم:.....58
3.2.3. مَلمح الاستئناس بالطبيعة:.....59
4.2.3.. مَلمح النّزعة الذاتية والحوار القصصي: 60
3.3. المطلب الثالث: الشاعر نِزار قَبّاني:.....61
1.3.3.. نبذة ان حياة نزار قبّاني: 62
2.3.3.. آثار نزار قباني الشعرية:.....63
3.3.3. أثر البيئة والسياسة في شعر نزار قبّاني: 63
4.3.3.. الغزل وأنواعه عند نزار قباني: 66

.5.3.3.. مأساة نزار قباني بِمَقتل زوجته بَلقيس: 68
.6.3.3.. استِحضار نزار قباني لِديك الجن والمفارَقة العجيبة:.....70
.4.3.. المطلب الرابع: مَلامِح الرومانسية في الحب وبكاء الزوجة عند نزار قباني: 71
.1.4.3. مَلمَح الخيال الجامِح واِستِحضار المحبوبة:.....71
.2.4.3.. مَلمح عاطفة الحب السّامية: 72
3.4.3. مَلمح الرّمز والغُموض:.....74
.4.4.3.. مَلمح التّجديد في شكل ومضمون القصيدة: 75
.5.3.. المطلب الخامس: أوجُه التشابه والاختلاف بين ديك الجن الحمصي ونزار قباني: 77
.1.5.3.. أوجُه التشابه: 77
.2.5.3.. أوجُه الاختلاف: 78
الخاتمة.....80
النتائج:.....80
التّوصيات:.....83
المصادر والمراجع.....85

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

أتوجه بجزيل الشكر والتقدير، إلى الدكتور Bekir YILDIRIM على مابذله مِن مجهودات، وما قدمه مِن نصح وتوجيهات، أسهمت في إتمام هذا البحث، فله مني كل التقدير.

والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة المحترمين، على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث.

كما أشكر والدي العزيز، معلم اللغة العربية، الأستاذ القدير: حسن العلي، والذي كان له الفضل في عشقي للعربية منذ أن كنت وزملائي على مقاعد الدراسة، ونتابع دروسه المشوّقة، وأسلوبه الرائع، فتعلمنا منه كيف يكون التفاني والإخلاص في العمل.

كما أتوجه بالشكر إلى والدتي الغالية، وزوجتي الحبيبة، وأولادي، وإخوتي جميعاً، على صبرهم ومساندتهم لي أثناء كتابتي لبحثي هذا.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

بيان أخلاقيات البحث العلمي

أصرح بأنني قد التزمتُ بعناية بالأخلاقيات العلمية، والقواعد الأكاديمية، أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة(بُكاء الزوجة ما بين الغزل القديم والرومانسية الحديثة، الشاعران ديك الجن الحمصي ونزار قباني نموذجاً)، وذلك بدءاً من مرحلة تقديم الاقتراح إلى أن انتهيت من هذه الدراسة، وأن المعلومات المذكورة في الأطروحة حصلت عليها ضمن إطار الأخلاقيات والتقاليد العلمية، وأنني قمت بذكر بالإشارة إلى جميع المصادر والمراجع التي اقتبست منها، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه الدراسة، والتي أعددتها وفقاً لقواعد كتابة الأطروحة، وأصرح بأن جميع المصادر والمراجع التي لجأت إليها، هي تلك الموضحة في قسم المصادر والمراجع.

...../...../2023

حازم حسن العلي

ÇANKIRI KARATEKİN ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Hazim ELALİ tarafından hazırlanan "Eşe Ağıtın, Klasik Gazel ve Modern Romantizimde Ele Alınışı (Şair Dik el-Cin el- Humsî ve Nizâr Kabbânî Örneği)" başlıklı bu çalışma, 19.01.2023 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda oybirliği ile başarılı bulunarak jürimiz tarafından Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı)

Danışman : Dr. Öğr. Üyesi Bekir YILDIRIM İmza……..

Üye : Doç. Üyesi Mucahit ASUTAY İmza……..

Üye : Dr. Öğr. Üyesi İbrahim HANEK İmza……..

ONAY

Bu Tez, Çankırı Karatekin Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun 28.12. 2022 tarih ve 58/3-E-6 sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Prof. Dr. Coşkun POLAT

Enstitü Müdürü

المقدمة

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على مَن لا نبي بعده، أما بعد:

ما أحوجنا ونحن في زمن كَثُرَت فيه الحروب والكوارث، أن نتحدث عن الحُب، والذي بِنَتيجته نسمع الكلمات التي تخرج مِن أفواه الشعراء والعاشقين، ونسميها غَزَلاً، ذلك الغزل الذي وُجِد وتنوّعَت أشكاله منذ أن أوجَدَ الله الكَون.

وما أجمل ذلك الغزل الذي يحمل في طيّاته عاطفة جيّاشة، وخيال واسع، وصِدق في التعبير عن التجربة الذاتية، وإبداع للرمز والصور المبتَكرة وشحنها بعواطف إنسانية حارّة، فَيتشكل بذلك أروع وأجمل نوع من أنواع الشعر الغزلي، ألا وهو الشعر الرومانسي، وبِناء على ذلك، فقد اختار الباحث عنواناً لموضوع بحثه : (بُكاء الزوجة ما بين الغزل القديم والرومانسية الحديثة، الشاعران ديك الجن الحمصي ونزار قباني نموذجاً).

دوافع البحث:

- لِكَون الغزل مِن أهم الفنون الشعرية وأصدقها، وأقربها إلى القلب والنّفس البشرية منذ القديم حتى وقتنا الحالي.

- لِلدخول والغَوص في تفاصيل أنواع الغزل في الشعر، وتوضيح مدى ارتباط ذلك التنوع بالمجتمع والظروف المحيطة به.

- للدلالة على أهمية تلك الجَماليّات والعناصر الإبداعية التي تُضيفها الملامح الرومانسية على شعر الغزل.

– للتنويه والتّذكير بالشاعر: ديك الجن الحمصي، والذي كانت أشعاره في حب زوجته رمزاً للعاشقين، ولكن الموروث الأدبي والشعري لهذا الشاعر قد فُقِد أو يكاد.

مشكلة البحث:

بين الغزل والرومانسية علاقة مُتأصّلة، فَشعر الغزل جزء أساسي من المذهب الرومانسي، والمذهب الرومانسي ظَهَر في العصر الحديث بِشكله النّظَري، لكن بعض الملامح الرومانسية في شعر الغزل عند بعض الشعراء العرب كانت قد ظهرت منذ القديم، وأنصار المذهب الرومانسي الحديث شّنّوا هجوماً على الشعر القديم وطالَبوا بالتجديد في شكل ومضمون القصيدة، ولِبَلوَرَة هذه الإشكالية، سنطرح الأسئلة التالية:

– ما الغزل، وأنواعه الرئيسة، وكيف تطور عبرَ العصور، وكيف يتداخل ويتماذج الغزل بالأغراض الشعرية الأخرى في قالب فني واحد؟

– ما العوامل المؤثرة في شعر الغزل باختلاف العصر وأحواله؟

– ما أشهر أنواع الغزل الجديدة التي ظَهرت في بعض العصور؟

– ما الرومانسية، ومتى نشأت كمذهب نظري؟

– ما أسباب نشأة الرومانسية في الأدب العربي؟

– ما خصائص أشعار الحب والغزل لدى الرومانسيين العرب؟

– مَن هو الشاعر ديك الجن الحمصي، ومكانته في عصره، وما قصة مأساته التي سجلتها كتب التاريخ والأدب؟

– ما الظروف التي قد تكون سبباً في ضياع الموروث الأدبي والشعري لديك الجن؟

– كيف كان الشعر الغزلي عند ديك الجن، ومدى تأثره بطبيعة عصره؟

– ما الملامح الرومانسية التي ظهرَت في شعر ديك الجن بعد قصته مع زوجته؟

– مَن هو الشاعر نزار قباني، وكيف تأثر شعر الغزل لديه بالظروف الطارئة التي حدثت في العصرالحديث؟

– ما الملامح الرومانسية التي أبدعَها نزار في شعره لحبيبته وزوجته بلقيس، والتي قُتِلَت كما قُتِلَت زوجة ديك الجن الحمصي، ولكن بأسلوب مختلف؟

– ما أوجه التشابه والاختلاف بين الشاعرين: ديك الجن الحمصي، ونزار قباني؟

أهداف البحث:

– التعرّف على ماهية الغزل وتطوره وتماذجه مع الأغراض الشعرية الأخرى بِقالب واحد.

– معرفة الأنواع الرئيسة للغزل، والعوامل التي تؤثر على تنوع شعر الغزل.

– التعرّف على الرومانسية كَمَذهب نظَري، وعوامل نشأة ذلك المذهب في الأدب العربي.

– الخَوض في سمات الرومانسية في شعر الحب والغزل عند الشعراء العرب.

– الإلمام بالظروف المحيطة بالشاعر ديك الجن الحمصي، والتي قد تكون هي السبب في ضياع الموروث الأدبي والشعري له.

– التّعرف على المأساة التاريخية في قصة حب ديك الجن لزوجته، وأثرها في شعره الغزلي.

– التعرف على الشاعر نزار قباني، والتوصّل إلى معرفة الظروف التي طَرأت وأثّرت على شعره وغزله خاصة.

– دراسة أبرز الملامح الرومانسية في غزل نزار قباني لزوجته التي قُتِلَت وفارقته بعد قصة عشق طويلة.

– الوصول إلى أوجه التشابه والاختلاف عند الشاعرَين: ديك الجن الحمصي، ونزار قباني، لِكونِهما مِن أشهر شعراء الحب والبكاء على الزوجة في عصرَيهما.

أهمية البحث:

تَسليط الضّوء على فَنّ شعري يُعتَبَرُ مِن أهم الفنون الشعرية وأجمَلها وأقرَبَها إلى قلب الإنسان ومشاعره العاطفية، وربط الغزل بالرومانسية بِما تحمله مِن سمات تَزيد الغزل عمقاً وتأثيراً في النّفس البشرية، وكذلك حاول الباحث تسليط الضوء على ماهية الرومانسية ومذهبها، وذلك باعتبار كلمة (الرومانسية) كلمة غربية ولكنها مُتداولة بكثرة في عالَمِنا العربي، ولَفت الانتباه إلى الشاعر ديك الجن الحمصي، فهو مشهور عند الناس بقصته المأساوية وحبه وقتله لزوجته، ولكنه في الوقت نفسه لم يأخذ حقه في الدراسة والنقد وحِفظِ أشعاره مكتملة في كتب التاريخ والأدب والتحقيق.

منهج البحث:

تمّت الدراسة وفق المنهج التاريخي الوصفي في التعرف على الغزل والرومانسية وتطورهما، وكذلك استخدم الباحث المنهج المقارن في دراسة الشاعرَين، وصولاً إلى أوجه التشابه والاختلاف بينهما في الظروف التي أثّرت على شعر الغزل والرومانسية لديهما.

حدود البحث:

الحد الموضوعي: شعر الغزل وأنواعه وتطوره، والشعر الرومانسي وملامحه، ومقارنة بين شاعرين أحدهما من العصر العباسي (ديك الجن)، والآخر (نزار قباني) من العصر الحديث.

الحد الزماني والمكاني: العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي والحديث، مع التركيز على على العصرَين العباسي والحديث في إيراد الشواهد والأمثلة.

الفجوة البحثية:

هنالك عدد من الدراسات البحثية التي اهتمّت بالغزل في عصر معيّن أو عصرَين مِن العصور، أو دراسة الرومانسية الغربية وأثرها على الرومانسية العربية مع التّركيز في الدرجة الأولى على الرومانسية كَمَذهب نظري ومقارنتها بالمذاهب أو المدارس النظرية الأخرى.

وفي هذا البحث تناوَل الباحث تطور الغزل والعوامل المؤثرة على ذلك التطور في معظَم العصور، وكذلك أظهرَ البحث مدى الأثر الكبير والرائع الذي تُضيفه الخصائص والملامح الرومانسية إلى شعر الغزل، وكذلك في اختيار الباحث للشاعر (ديك الجن الحمصي) من العصر العباسي، والذي تندر الدراسات والمصادر التاريخية عنه، وقد ضاع معظم موروثه الشعري والأدبي، ومقارنته بالشاعر (نزار قباني) من العصر الحديث، والذي اشترك مع ديك الجن الحمصي بالقصة والمأساة نفسها في حب الزوجة ومقتلها، وأثر ذلك على مسار الغزل عندهما.

الدراسات السابقة:

– التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان – سعاد جعفر (1973) – رسالة ماجستير: تناولت الباحثة في هذه الدراسة – بالتحليل والنقد – أسس وأهداف مدرسة الديوان، وتوصلت إلى أن جماعة الديوان كانت من أهم عوامل ظهور المذهب الرومانسي في الأدب العربي في العصر الحديث، وكذلك دراسة التكوين الفكري والفلسفي عندهم.

– مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر – نسيب نشاوي (1984) – رسالة دكتوراه: تناولت تلك الدراسة المدرسة الاتباعية والرومانسية والواقعية والرمزية، والفوارق بين هذه المدارس، وكذلك المبادئ التي رفضها أنصار المدرسة الرومانسية في المدرسة الاتباعية والتي كانت تنادي

باتباع القديم، وهذا ما كان يرفضه أنصار المدرسة الرومانسية الداعية للإبداع والخيال والتجديد وعدم الالتزام بقوانين الشعر العمودي القديم.

- شعر ديك الجن الحمصي - دراسة نفسية - ميرفت أبو صلاح (2009) - رسالة ماجستير: تناولت الدراسة التحليل النفسي لشخصية ديك الجن، وأنواع الشخصية، والتحليل النفسي لفرويد وبناء الشخصي، وتوصلت إلى الشك المتواصل الذي كان يؤرق ويُتعِب الشاعر نتيجة تركيبته وتناقض حياته، فقد عاش ديك الجن اضطرابات نفسية متواصلة نتيجة الظروف التي أحاطت به.

- الغزل الحجازي الحضري في العصر الأموي - فاطمة الشمري (2004)- رسالة ماجستير : تناولت الدراسة الغزل في العصر الأموي، ووصلت إلى أن الغزل امتداد لما سبقه من الغزل، ولكنه ارتبط بالبيئة الثقافية الجديدة، وخضع لقوانين التقليد والتجريب والوضوح، فظهرت فيه آثار التطور.

- الشعر الرومانسي بين التأثر والتأثير - دراسة مقارنة بين: توماس إليوت، وبدر شاكر السياب - عثمان بشرى وكرومية خضرة (2019) - رسالة ماجستير: تناولت الدراسة تأثير المذهب الرومانسي الغربي على الشعر العربي، وأجرى الباحثان دراسة مقارنة بين شاعر غربي وشاعر عربي،

وتوصل الباحثان إلى أن الشعر الرومانسي العربي قد تأثر بشكل كبير بالرومانسية الغربية وظهرت ملامح ذلك التأثر في الشعر العربي بشكل واضح.

خطة البحث:

تم تقسيم الدراسة إلى أربعة مباحث، تتوزع عنها مطالب، هي كالآتي:

- المبحث الأول: (الغزل وتطوره عبر العصور عامة، والعباسي خاصة).
- المطلب الأول: الغزل - تعريفه ونشأته - أنواعه الرئيسة.
- المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في شعر الغزل باختلاف العصر وأحواله.

- المطلب الثالث: الغزل في المرحلة الذهبية للعصر العباسي.
- المبحث الثاني: (الاتجاه الرومانسي في الأدب الحديث).
- المطلب الأول: الرومانسية – المفهوم والنشأة.
- المطلب الثاني: خصائص أشعار الغزل والحب لدى الرومانسيين العرب.
- المبحث الثالث: (الغزل والنزعة الرومانسية لدى الشاعرَين: ديك الجن الحمصي، ونزار قباني – دراسة مقارنة).
- المطلب الأول: الشاعر ديك الجن الحمصي.
- المطلب الثاني: ملامح الرومانسية في الحب وبكاء الزوجة عند ديك الجن.
- المطلب الثالث: الشاعر نزار قباني.
- المطلب الرابع: ملامح الرومانسية في الحب وبكاء الزوجة عند نزار قباني.
- المطلب الخامس: أوجه التشابه والاختلاف بين ديك الجن ونزار قباني.

المُلخص

عنوان الأطروحة: (بُكاء الزوجة ما بين الغزل القديم والرومانسية الحديثة، الشاعران ديك الجن الحمصي ونزار قباني نموذجاً).

مُعد الأطروحة : حازم حسن العلي.

المشرف : د. بكير يلدرم.

الفرع/ القسم: معهد العلوم الاجتماعية – العلوم الإسلامية الأساسية.

نوع الأطروحة: ماجستير.

تاريخ الموافقة :24.01.2023

انطلقَ البحثُ مِن دراسة فنّ شِعريّ هو مِن أجمَل الفنون وأقربها إلى القلب، فالغَزَلُ مرتبط بالحب والعاطفة والجَمال، وقد وُجِدَ منذ أن خُلِقَ الإنسان، والرّومانسية قد ظَهرَت في الشّعر العربي منذ القديم، حيث كان الشعراء العرب يستهِلّون قصائدهم بالتّغزّل بالمحبوبة حتى الوصول إلى الغرض الرئيس المطلوب في القصيدة؛ لكن الرومانسية بخصائصها ومميزاتها تطورت في عصرنا الحديث وأصبَحَت على شكل مَذهَب نظَريّ.

كما توقّفَت الدراسة عند الأسباب التي وجدَها الباحثُ قد تكون سَبَباً في ضياع الموروث الشّعري لديك الجِن الحمصي بعد أن كان مِن الشعراء المجيدين في عصره.

وخَلصَ البحث إلى أنّ الشعر الغَزَلي قد تَطوّر في الشّكل والمضمون، ففي العصر الجاهلي لم يكن الغَزَل فناً مُستَقلاً بِذاتِه، وكان مِن أنواعه العفيف والصّريح، وعند ظهور الإسلام أصبح الشعر الغزلي أكثرتَهذيباً وعفّة، وقد طَغى الغزل العفيف على الصريح الماجِن، وفي العصر الأموي نتيجة الازدهار الاقتصادي والسياسي ظَهر الغزل الحَضَريّ الماديّ في الحِجاز خاصة، لكنه التَزَمَ نوعاً ما بالضوابط الاجتماعية، أما في العصر العباسي ونتيجة للتطورات الهائلة التي أصابت بُنيَة المجتمع، والانفِتاح على شَتّى المجالات، والاختلاط بباقي الشعوب والثقافات، ظهَرَت أنواع جديدة مِن الغزَل لم تكن مألوفَة مِن قَبل،ومنها الغزل بالمذكر والجواري وكذلك الغزل الشاذ المستَنكر.

كما خلص البحث إلى أن الرّومانسية بِسِماتِها وخصائصها المميزة لها، مِن عاطِفة جَيّاشَة صادقة، وإبتِكار في الرّمز، ولجوء إلى الطبيعة، والخيال الواسع، والتجديد في شكل ومضمون القصيدة بِتحرّرها مِن نِظام القصيدة القديم، كلّ هذا أضفَى على شعر الغَزَل أسمَى آيات الروعة والجمال، وجعَلَه يدخل القلب دون اِستِئذان.

الكلمات المفتاحية: الغزل، الرومانسية، ديك الجن الحمصي، نزار قباني.

ÖZET

Tezin başlığı: Eşe Ağıtın, Klasik Gazel ve Modern Romantizimde Ele Alınışı (Şair Dik el-Cin el- Humsî ve Nizâr Kabbânî Örneği)
Tezin Yazarı : Hazim ELALİ
Danışman : Dr.Öğr. Üyesi Bekir Yıldırım
Sube/bölüm : Sosyal Bilimler enstitüsü - Temel İslam Bilimleri
Tez Türü : Yüksek Lisans
Kabul Tarihi : 24.01.2023

Çalışma, en güzel ve kalbi etkileyen sanatlardan biri olan şiirin incelenmesinden meydana gelmiştir. Zira gazel; aşk, duygu ve güzellikle ilintili olup insanın varlığından bu yana hep olagelmiştir.

Romantizm Arap şiirinde eski zamanlarda ortaya çıkmıştır. Nitekim Arap şairler, kasidelerinde amaçlanan ana hedefe ulaşımak için sevgiliye gazel terennüm etmişlerdir.

Ancak hususiyetleri ve ayrıcalıkları ile romantizm modern çağımızda gelişmiş, teorik bir ekol haline gelmiştir.

Çalışma, Abbasi dönemi ve modern dönem merkezinde gazelin gelişimini ve bu gelişimi tetikleyen etkenleri ele almaktadır. Araştırmacı konuyla ilgili Abbasi döneminden Dîk el-Cin el-Humsî ve modern dönemden Nizar Kabbânî'yi ele aldı Aşk ve gazel alanlarında büyük etkileri olan bu iki şair arasında bir mukayese yaptı. Özellikle eşlerine aşkları ve eşlerinin öldürülmesinden sonra kendilerini kuşatan, şahsiyetlerine ve gazellerine etki eden durumlar, benzersiz ve ilginç bir şekilde her ikisini ortak bir noktada buluşturmaktadır. Araştırmada her ikisinin aşk ve eşleri için gözyaşlarını konu edinen şiirlerindeki romantizm ilişkileri araştırılmıştır.

Araştırma, ayrıca Dîk el-Cin el-Humsî'nin döneminin gözde şairlerinden olmasina rağmen şiirlerinin kayıp şiir mirası içerisinde yer almasının sebepleri üzerinde durmaktadır.

Araştırma, gazelin hem şekil hem de içerik bakımından geliştiği neticesine ulaşmıştır. Zira gazel, cahiliye döneminde müstakil bir sanat dalı olarak bulunmamaktadır. Gazelin ahlaki ve gayri ahlaki şeklinde çeşitleri vardır. İslamiyet'in ortaya çıkışından sonra gazel daha temiz ve etik bir hale gelmiş ve ahlaki gazel, gayri ahlaki gazele baskın gelmiştir.

Emeviler döneminde ekonomik ve siyasi gelişmenin bir neticesi olarak özellikle Hicaz'da kültürel maddi bir gazel ortaya çıkmıştır. Ancak bu gazel türü toplumun sosyal kurallarına riayet etmiştir. Abbasi döneminde ise toplum yapısında gerçekleşen büyük gelişmeler, farklı alanlara açılma, başka toplum ve kültürler ile karışma neticesinde önceden alışılmadık yeni gazel çeşitlerini ortaya çıkardi. Örneğin erkekler ve cariyeler arasında geçen kınanmış cinsel sapıklık içeren gazel çeşitleri.

Romantizm, kendine has özellikleri olan yoğun duygusallık, tabiata, hayale geniş yer vermesi nedeniyle kasidenin eski şeklinden ayrılmıştır. Tüm bunlar, gazele güzellik ve mükemmelliğin en yüksek belirtilerini kazandırdı ve onun kalbe doğrudan etki etmesini sağladı.

Anahtar kelimeler: Gazel , Romantizm , Dik el-Cin el-Humsî , Nizar Kabbani**.**

ABSTRACT

Title of the Thesis: An Example About Weeping For A Wife By The Poets Deek Al Jin Al Homsi And Nizar Qabbani Between Ancient Ghazal And Modern Romanticism

Author : Hazim Elali

Supervisor : Asst. Prof. Dr.Bekir Yildirim

Department : Institute of Social sciences/Basic Islamic sciences

Thesis Type : Postgraduate

Date of acceptance: 24.01.2023

The study consists of the analysis of poetry which is one of the most beautiful arts, closest to the heart. For ghazal has to do with love, emotion and beauty and it has always been usual since the existence of mankind.

Romanticism appeared in Arabic poetry in ancient times. As Arab poets sang ghazals to the beloved until they reached the main purpose intended in the qasida.

However, romanticism, with its characteristics and privileges, has developed in our modern times and has become a theoretical school.

The study discusses the development of ghazal focusing on the Abbasid period and the modern times and the factors that triggered this development. The researcher chose two poets: Deek Al Jin Al Homsi from the Abbasid period and NizarQabbani from the modern times. The researcher compared these two poets who had great influence in the fields of love and ghazal. Especially the love for their spouses and the circumstances that surrounded them and affected their personalities and ghazals after the murder of their spouses, bring these two poets together at a common point in a

unique and interesting way. Thus, the romantic relationships in the poems of these two poets, which are about their love and tears for their spouses, were studied.

The research also highlighted some of the reasons why the researcher believes that Deek Al Jin Al Homsi was one of the most popular poets of his time and holds a place in the lost poetic heritage.

The research concluded that ghazal has developed in terms of both form and content. Because ghazal was not an independent art branch in the pre-Islamic era. There are ghazal types such as chaste and frank. After the advent of Islam, the ghazal became cleaner and more ethical, and the chaste ghazal became more dominant than the frank ghazal.

As a result of the economic and political development during the Umayyad period, a cultural and material ghazal emerged especially in Hijaz. However, this ghazal type adhered to some social rules. In the Abbasid period, as a result of major

developments in social structure, spreading to different areas and mixing with other societies and cultures, new types of ghazalappeared that had previously been uncommon. Ghazals about men-concubines and containing condemned sexual perversion can be given as an example.

Another conclusion reached by the study is that romanticism, with all its characteristic features, is a passionate and sincere feeling, an original discovery in symbolism, seeking refuge in nature, a great imagination, a renewal of the qasida in terms of form and content that's independent of the old qasida order. All this gave ghazal the highest signs of beauty and perfection and allowed it to enter the heart without permission.

Keywords: Ghazal , Romanticism , Deek ALjin Al Homsi, Nizar Qabbani.

تمهيد

–نظرة عامة على الشعر العربي في بعض مراحله:

مِن أجمل استخدامات اللغة أن نستخدمها بشكلها الجمالي، وذلك عن طريق الشعر، والشعر كان في العصر الجاهلي عن طريق الغناء والإنشاد، وكانت اللغة تتحول شِعراً يُدخِلُ في النفس البشرية روحاً وخيالاً منقطع النظير "ولد الشعر الجاهلي نشيداً، وكان موسيقى جسدية" (سعيد، 1985: 5)، والشعر عند شوقي ضيف هو"الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد التأثير في عواطف السامعين والقارئين" (ضيف، 1973: 7).

فالشعر ليس كلاماً عادياً فحسب، بل كلام فيه مِن البلاغة والبيان ما يدغدغ المشاعر ويؤججها، وفيه مِن السحر ما قد يجعل الخيال يسرح في عالَم آخر مُفعَم بالمشاعر والعواطف الملتهبة الجياشة.

وإذا كان الشعر بهذا الجمال، فهل كل كلام جميل بليغ هو شعر؟!

الشعر له أركانه وشروطه وخصائصه التي ارتبطت به منذ القديم، وتغيرت تلك الشروط مِن وقت لآخر، حتى وصلنا إلى العصر الحديث في منتصف القرن التاسع عشر وما طرأ على الشعر مِن تغيرات مهمة سنفصل الحديث عنها أثناء بحثنا.

فمنذ القديم كان الشعر بمثابة الصناعة، وتلك الصناعة تحتاج إلى قواعد لتطبيقها على أحسن صورة، وتلك القواعد تتعلق بالوزن والقافية والمعنى، يقول قدامة بن جعفر في هذا الشأن"الشعر قول موزون مقفّى يدل على معنى" (ابن جعفر، 1856: 2).

وهذا يعني أن الشعر يختلف عن النثر في الأعمال الأدبية، فالنثر بما يضمه مِن خطابة ومقالة وقصة ومسرحية وغير ذلك، بالرغم من جمالياته إلا أنه لا يتطلب شروط الشعر مِن وزن وقافية وعروض وبحور شعرية "الشعر كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستخدمه الناس في مخاطباتهم" (العلوي، 1980: 41).

وقد كان للشعر مكانته وعظمته وسموّه، وكانت القبائل العربية تزهو وتفتخر وتتباهى بظهور شاعر بين أفرادها، فهذا الشاعر سيكون مدافعاً عن قبيلته بلسانه قبل سيفه، وسيكون سبباً في رفع شأن قبيلته،فهو مصدر فخر واعتزاز لها"كانت القبيلة مِن العرب إذا نبغ فيها شاعر أتَت القبائل فهنّأتها" (القيرواني، 1981: 65).

ومنذ العصر الجاهلي كان الشعر مرآة لعصره، يعكس مظاهر الحياة والبيئة التي يتأثر فيها ذلك الشاعر مِن وصف وغزل وعادات وتقاليد و صيد ووفاء وإكرام ضيف وإغاثة الملهوف ،ويعبر عنها و عن مكنوناته"الشاعر الجاهلي قد صوّر البيئة تصويراً عاماً استوعب فيه جميع ظواهر الحياة" (الجندي، 1991: 345).

وفي صدر الإسلام، ومع انتشار التعاليم الدينية الداعية إلى الموعظة والكلمة الحسنة، والاهتمام بنشر الدعوة الإسلامية في المقام الأول، فإننا نجد تحولاً في كلمات الشعراء فقد مالت الألفاظ الجزلة الصعبة التي كانت في الجاهلية، إلى ألفاظ سهولة ولين، وكذلك الأغراض الشعرية تناسبت مع طبيعة ذلك العصر "اللغة المستخدمة واضحة وسهلة ولينة، في الدين والاجتماع والتاريخ والطبيعة والتصوف والأدب" (الشكعة، 1973: 105).

وهذا ليس مستغرباً، فالشاعر يؤثر ويتأثر بالظروف والأحوال المحيطة به، ولابد للطبائع الإسلامية التي كانت طاغية في ذلك العصر أن تبدو واضحة في الشعر آنذاك.

وإذا انتقلنا إلى العصر الأموي، وحدوث الاضطرابات السياسية، وما تبع ذلك مِن انقسامات واضحة بين موالين ومعارضين للدولة الأموية، فهذا حرّك في نفوس الشعراء الدوافع الداخلية التي يؤمن ويعتقد بها، فاستغل ذلك وكانت السياسة والدافع الديني هما الأساس في ذلك "استغل الشاعر شعره من أجل الدفاع عن المعتقدات السياسية التي تنبع من معتقدات دينية، وصار يتقرب من بلاط الحكم" (زيدان، 1983: 320).

وعند مجيء العصر العباسي بالتطور الحضاري الذي كان مرافقاً لذلك العصر، وكذلك الاحتكاك بالحضارات الأخرى، واختلاف وتطور نمط التفكير العقلي، كل هذا كان له الأثر الكبير والواضح في تطور الشعر إيجاباً، وكان لافتاً رجوع بعض العلماء في ذلك العصر إلى الشعر الجاهلي والإسلامي كي يبحثوا في الناحية اللغوية والنحوية واستنباط الأحكام"قد أدى إلى هذه النقلة الجديدة عوامل منها تطور الشعر والنثر بتأثير الحضارة العباسية ورقي الحياة العقلية فيها" (عتيق، 1982: 8).

وفي العصر الحديث، ظهر الشعر الحر بتطوراته الكبيرة على مستوى شروط الشعر العمودي القديم، فكما ذكرنا سابقاً بأن الشعر كلام موزون مقفى، وهو صناعة في حد ذاته، له قواعد وشروط في بحره وقافيته وعدد تفعيلاته، ووزن وشطر وبيت شعري، ولكن الشعر الحديث (الحر) دعا إلى عدم الالتزام بشروط الشعر العمودي القديم ، وامتاز عنه في حرية القافية والوزن والتفعيلة، وكذلك في أنماط التفكير والإبداع، وقد ظهر في سنة 1947 في قصيدة الكوليرا لنازك الملائكة"قصيدتها الكوليرا هي أول قصيدة في هذا الشعر – الشعر الحر- وكانت قد نظمتها في 1947 ونشرتها في مجلة العروبة" (خليل، 2003: 269)، وتقول الشاعرة نازك الملائكة موضحة"هؤلاء قد ألِفوا من قبل أن يروا الأوزان مرصوصة على شطرين متساويين، بحيث بكون تبين موسيقاها أسهل، لذلك تاهوا وتعبوا حين أصبحت الأشطر غير متساوية في أطوالها" (الملائكة، 1981: 144).

يتضح مما سبق، أن الشعر كان مرآة لعصره، وهو يجسد ثقافة وبيئة الزمن الذي يعيشه، ويحمل مضامين وأغراضاً شعرية تتناسب مع طبيعة الحال المعاش، وأخذ على عاتقه في بعض الأحوال الدفاع عن القبيلة أو الدولة أو المعتقدات التي يؤمن بها، واختلفت شروط الشعر بين أحكام صارمة في الوزن والثقافية والبيت الشعري وشطريه قديماً، إلى ضرورة التخلي عن هذه الشروط والاتجاه إلى الشعر الحر، شعر التفعيلة الذي يدعو إلى التحرر من تلك الشروط التي تقيد الشعر، وتفتح آفاق التفكير والإبداع، وتغير في البنية الموسيقية للقصيدة بأكملها.

1.المبحث الأول

الغَزَل وتطوره عبر العصور عامة، والعباسي خاصة

1.1. المطلب الأول: الغزل – تعريفه ونشأته –أنواعه:

ظهر الغزل منذ القديم، وقد وصل إلينا الكثير من أشعار العرب في الجاهلية والتي تتحدث عن الغزل بأنواعه المختلفة، والغزل يكاد يكون فطرة لدى الإنسان، وهو مرتبط بالمشاعر الإنسانية المفعمة بالعواطف والأحاسيس، فلا غرابة أن يكون مِن أجمل أنواع الشعر.

وجاء في التعريف الاصطلاحي للغزل "هو غرض من أغراض الشعر، موضوعه الحب والهيام، وقوامه ذكر المرأة، ووصف محاسنها الخُلُقية، ومفاتنها الجمالية، والتعبير عما يختلج في نفس العاشق" (العسكري، 2010: 17).

ويتضح من هذا التعريف أن الغزل يدخل في وجدان النفس البشرية ومكنوناتها، ويُخرِج ما فيها من مشاعر دفينة تُتَرجَم على شفاه الشعراء كلمات ساحرة تسرق العقل قبل الأذن أحياناً.

والحب طبيعة فطرية لدى الإنسان منذ أن خلق الله الكون، فلا غرابة في أن يكون الغزل موجوداً بأشعاره الجميلة الساحرة منذ أقدم العصور، فقد ارتبط في الشعر الجاهلي– على سبيل المثال – بطبيعة العصر والحياة وقسوتها آنذاك"لعل طبيعة الحياة وقسوتها هي التي جعلت الشاعر يناجي حبيبته ويذكرها في كل الأوقات" (علي، 2005: 248).

1.1.2.. موقف الإسلام من الغزل:

صحيح أن الغزل في العصر الجاهلي كان مليئاً بالأشعار التي تصف مفاتن المرأة الحسية، وقد يستخدم الشاعر في ذلك مفردات بعيدة عن العفة والأخلاق الكريمة التي دعا إليها الإسلام لاحقاً، وتقترب من كونها ألفاظاً فاحشة في بعض الأحايين والأوقات، ولكن الإسلام بظهوره وتعاليمه السمحة

وموعظته، دعا إلى تهذيب الأقوال والأفعال والنفوس أيضاً، فانعكس ذلك بشكل إيجابي في أشعار الغزل، وأصبحت تلك الكلمات تميل إلى العفة بدل الفحش والوصف الجسدي والتعريض بالمرأة.

وما يشير إلى أن الإسلام لم يحرم ولم يمنع الغزل العفيف، قصيدة الشاعر كعب بن زهير، والتي تسمى قصيدة البُردة، وذلك لأن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، عندما قدِم إليه الشاعر كعب وألقى أمامه تلك القصيدة معتذراً ويطلب الصفح، وبدأ تلك القصيدة بأبيات من الغزل مازالت تتردد على الشفاه حتى وقتنا الحاضر من شدة جمالها وروعتها، عندها أهدى الرسول بردته التي كان يرتديها لكعب وصفح عنه.

"وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ، والحكم الذي لم يوجد له ناسخ، أنشدها كعب في مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه، وتوسل بها فوصل إلى العفو عن عقابه، فسد صلى الله عليه وسلم خلّته، وخلع عليه حلّته، وكف عنه كف مَن أراده، وأبلغه في نفسه وأجَلِه مراده، وذلك بعد إهدار دمه، وما سبق من هذا كله، فمحت حسناتها تلك الذنوب، وسترت محاسنها وجه تلك العيوب، ولولاها لمنع المدح والغزل، وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الأمل، فهي حجة الشعراء فيما سلكوه، وملاك أمرهم فيما ملكوه" (التلمساني، 1997: 689)؛ يقول كعب بن زهير في مقدمته الغزلية في قصيدة البردة (قمحية، 1989: 109):

"بانَت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيّم إثرها لم يُفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا

إلا أغنّ غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة

لايشتكي قصر منها ولا طول

تجلو عوارض ذي ظَلم إذا ابتسمت

كأنها منهل بالراح مغلول"

فالشاعر يبدأ قصيدته وهو أمام الرسول الكريم بأبيات من الغزل، فيذكر أنه مكبل اليدين بسبب فراق محبوبته، وحبيبته سعاد من شدة جمالها هي كالغزاك الذي لديه غنّة في صوته، وعيونه ساحرة الجمال، ومحبوبته فتاة جميلة في حالتي الإقبال والإدبار، متوسطة الطول، عندما تبتسم فإن الهموم والمصاعب تزول وتنجلي كما ينجلي الصدأ عن السيف، والرائحة الزكية العطرة التي تخرج من ذلك الثغر الجميل تُدخِل على قلب الشاعر العاشق السكينة والراحة بعد زوال الهم والحزن.

يتضح مما سبق أن الإسلام لم يحرّم الغزل عامّة، وكما في جميع مناحي الحياة، كانت التعاليم الدينية تدعو إلى البعد عن الفسوق في القول والعمل، واحترام المرأة وتقديرها، فانعكس ذلك إيجاباً في أشعار شعراء الغزل، وظهر الفرق واضحاً بين شعراء الجاهلية وصدر الإسلام في هذا المجال.

3.1.1. التداخل والتمازج بين الغزل والرثاء (الغزل الرثائي وبكاء الأحبة):

إذا كان الغزل شعراً ينبع من صميم القلب، ويحرك المشاعر الدفينة الكامنة، ويصف المحبوبة بأجمل العبارات وأرقها والتي تحرك الوجدان، فَحَريّ بأن تكون تلك الأشعار أكثر جمالاً وصدقاً وعاطفة عندما تكون موجهة لحبيب أو زوجة أو قريب غابَ عن الدنيا، وبِفقده تتفجر قريحة الشاعر كلمات ساحرة رقيقة صادقة بما ينتابه مِن حزن ولوعة واشتياق، وبامتزاج الغزل بالبكاء على عزيز، فإن الغرض الشعري في الغزل والرثاء يتداخل ويتمازج حتى درجة الانصهار الذي يولّد الصور الجمالية في القصيدة الشعرية، والتي تكون أجمل وأصدق أنواع الصور لأنها نابعة عن تجربة ذاتية، وحزن واشتياق وألم على الفراق.

فالغزل الذي بين جَنَباته تجربة ذاتية خاصة، ودافع داخلي ذاتي ممزوج بالتحسر والندم والألم لفراق زوجة أو محبوبة، عندما يمزجه الشاعر بالرثاء والبكاء الصادق، فإن النتيجة ستكون خيالاً يصل إلى عنان السماء بتذكر تلك التفاصيل والذكريات المرتبطة بفقيد الشاعر.

فرثاء الشاعر لزوجته أو محبوبته، لايختلف عن الغزل الباكي في غرضه وتفاصيله، فالتمازج والانصهار والتماهي بين الغزل والرثاء هو أجمل أنواع التمازج، لما فيه مِن قدرة على إخراج المشاعر الصادقة الكامنة في خلجات الشاعر.

وجاء في تعريف الرثاء"البكاء على الميت، يذكرون فيه محاسنهم، ممزوجة بالمدح أو الثأر أو التهديد، وغالباً ما يكون رثاء الأقارب أشد عاطفة" (الطريفي، 2006: 22.)

وقد أشار الكاتب عناد غزوان إلى التمازج بين الغزل والرثاء في كتابه المرثاة الغزلية"اشترك الرثاء مع شعر الغزل في التعبير عن معنى الألم سواء أكان ذلك بكاء عزيز غال، أو ندباً على حبيبة جميلة" (غزوان، 1974: 2).

وقد نوّه الكاتب إلى أن الشاعر (ديك الجن الحمصي) هو من أوائل الشعراء الذين مزجوا الغزل بالرثاء في بكاء زوجته التي قتلها بيده، وأصبحت حكاية قتلها رمزاً للشعراء من بعده، إذ يؤكد في أثناء حديثه عن الشعر الغزلي لديك الجن في بكاء زوجته ورد "المراثي الغزلية التي صاغها ديك الجن الحمصي في محبوبته ورد...الرثاء والغزل غرضان متحدان لايمكن الفصل بينهما، لأنهما مظهر واحد لتجربة واحدة" ينظر:(المصدر نفسه،11).

4.1.1.. الأنواع الرئيسة للغزل (العذري – الصريح):

.1.4.1.1.. الغزل العذري:

الغزل العذري جاءت تسميته (نسبة إلى بني عُذرة) (بركة، 1998: 35)، وجاء في تعريفه"هو الحب الذي لا يدنّسه الحبيبان بالشهوة، ولاتحوم فوقهما طيور المادية" (عبد الجبار، 1958: 522).

يتضح من هذا التعريف أن الغزل العذري هو الذي يبتعد عن الوصف المادي للمرأة، والذي لا يلجأ إلى كلمات الفحش، ولا تكون ملذات الجسد، ومفاتن المرأة الظاهرية هي الأساس فيه، "فهو حب روحي عفيف طاهر، لاسلطان لشهوات الجسد أو نوازع الغريزة عليه"(خليل، 1961: 43).

ولقد كَثُر هذا النوع من الشعر في العصر الأموي، نظراً لطبيعة هذا العصر، ولكن العصر الجاهلي لم يخلُ من هذا الشعر أيضاً "شاع الغزل العذري في العصر الأموي وعرفته غير قبيلة، إلا أنه ليس بوليد العصر الأموي، وجذوره تمتد في العصر الجاهلي" (بكار، 2009: 54).

ويكون في هذا النوع من الغزل الحب الصادق والوجدان والشوق والحنين هو المولّد للأشعار"أحاسيس مجردة في الحب، تعبر عن حالات شعورية متقاربة من الشوق والوجدان والحرمان والذكريات" (القط، 1979: 133).

وهذا كله يصب في قالب الحب الذي ينبع من صدق المشاعر، والتألم لفراق الأحبة، وارتباط المحبوب بالذكريات، والحب دائم مستمر لا ينقطع، فهو حب صادق حقيقي ليس مرتبطاً بالملذات الجسدية المؤقتة، ومن أشهر الشعراء في هذا المجال:

"قيس بن ذريح ومعشوقته لبنى

جميل بن معمر ومعشوقته بثينة

رواية جميل كثير ومعشوقته عزة

الصمة القشيري وابنة عمه ريّا"(الوالبي، 1999: 14)

يقول جميل مخاطباً محبوبته بثينة:

"تعلّق روحي روحَها قبل خلقها

ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد

فزاد كما زدنا فأصبح نامياً

وليس إذا متنا بمنتقض العهد

ولكنه باق على كل حالة

وزائرنا في ظلمة القبر واللحد"(نصار، 1967: 77)

وهنا في هذه الأبيات، تتجلى أرق معاني العزل العفيف وألفاظه، فالحب الذي بينه وبين محبوبته ولد قبل أن يخلقا، وسيزداد هذا الحب يوماً بعد يوم، ولن ينتهي حتى بعد الممات، واستخدم الشاعر في كلماته الألفاظ السهلة الواضحة البعيدة عن التعقيد، وخاطب الوجدان والروح، وعبر عن حبه العميق بكلمات تحرك المشاعر الدفينة، دون أن يخالطها أي لفظ فاحش ينحو نحو الجسد ومفاتنه وغرائزه وملذاته، فهو بذلك يعبر عن الحب العذري العفيف الطاهر.

.2.4.1.1.. الغزل الصريح:

وعلى عكس الغزل العفيف بكلماته الصادقة الطاهرة النابعة من الوجدان وألم الفراق والعشق الحقيقي، يأتي الغزل الصريح الذي يصف المرأة ومفاتنها والملذات وذلك باستخدام الألفاظ البعيدة عن الحياء غالباً، وهذا النوع من الغزل لا يتجنب الألفاظ الموحية إلى الجنس والجسد، ففي الغزل الصريح "كما يُفهَم من اسمه، يميل إلى وصف المرأة، والمبالغة في الوصف، وإلى مجاوزته إلى ذكر أمور أخرى في المرأة تثير اللذة والشهوة" (أبو رحاب، 1947 : 176)

ولعل من أبرز رواد الغزل الصريح هو الشاعر عمر بن أبي ربيعة، فهو من الشعراء الذين يهتمون بإبراز مفاتن معشوقاته الخارجية، ولم يكتف بمعشوقة واحدة، ويتفاخر بكثرة معشوقاته ويتباهى بعلاقاته العاطفية، وكتب الدواوين مليئة بأشعاره من النوع الصريح الماجن "كان منقطعاً لأحاديث الظريفات من بنات مكة والمدينة، وكان ينتظر أيام الحج ليلقى الحسان القادمات من الشام والعراق أو يتعرض لهن في الطواف فيجتنبنه حيناً، ويزجرنه حيناً مخافة التشهير"(العقاد، 1951: 9)، ومن أشعاره في هذا الصدد:

"زعموها سألَت جاراتها

وتعرّت ذات يوم تبتَرِد

أكما ينعتني تُبصرِنني

عُمركنّ الله أم لا يقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها

حَسن في كل عين مَن تَوَد"(الطباع، 1986: 54)

فهنا الشاعر على لسان محبوبته يتكلم بكلمات غاية في الفحش والصراحة في الغزل، فمحبوبته تسأل صديقاتها، هل يصفها عمر في أشعاره بشكل صحيح كما هي على حقيقة الأمر وهي عارية دون ملابس أمام صديقاتها؟!.

ففي هذا النوع من الغزل تكون هموم الشاعر وآلامه وأحزانه ومرارة التعلق أبعد ما تكون، ويحل محلها الشهوانية وملذات الجسد ووصف المرأة بمفاتنها، فالشاعر هنا يستجيب لنداء جسده في المقام الأول، وليس نداء روحه وعاطفته وتعلقه وشوقه الوجداني لمحبوبته.

.2.1..المطلب الثاني : العوامل المؤثرة في شعر الغزل باختلاف العصر وأحواله:

الغزل كغيره من الأغراض الشعرية الأخرى، يتأثر بالظروف والأحوال وطبيعة وعادات وتقاليد البيئة المحيطة التي يعيش فيها الشاعر، فالبيئة تلهم الشاعر وتدعم وتعزز أفكاره وتوجهه، وإبداع الشاعر متعلق بالبيئة وظروفها، فالشعر فن من فنون الأدب، وهو عنصر مهم من عناصر بيئة وثقافة وعادات وتقاليد المجتمع، وما وصل إلينا مِن الشعر العربي عبر العصور كافة، يثبت بما لايدع مجالاً للشك، بأن الشعر يتفاعل وينسجم وينصهر ببيئة العصر وظروفه الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية المهيمنة على ذلك العصر.

1.2.1.الغزل وتأثره ببيئة وطبائع العصر الجاهلي:

البيئة البدوية في العصر الجاهلي، تختلف عن أي عصر آخر، فالبدوي في ذلك العصر كانت أفكاره واتجاهاته تنصب في اتجاهات تتناسب والبيئة المحيطة به، فانتظار الغيث والمطر والربيع والمرعى الخصب، وكذلك الاهتمام والعناية بالحيوانات وصيدها،وربط الغزل بالحرب "كثيراً ما تمتزج ألفاظ الحب بألفاظ الحرب...ولا يستغرب من الشاعر الجاهلي أن ينظر إلى الطبيعة...وعلى الرغم من إكثار الشعراء من الغزل، لم يكن فناً مستقلاً برأسه" (البستاني،1989: 60)كل ذلك كان من أساسيات ذلك العصر، وكذلك العادات القبلية قبل ظهور الإسلام، فالقبيلة تحكمها عادات وتقاليد باتجاه المرأة وغيرها في شتى المجالات، فكان بعض الشعراء يتغزلون بالمرأة بوصفها ببعض الحيوانات الجميلة كالظبية مثلاً، وذلك لشدة تعلقهم بالحيوانات وحبهم الشديد لها، وكذلك كان التعلق بالخمر وصحبته وأماكنه شائع بكثرة في ذلك العصر، وفي ذلك يبدع الشاعر امرؤ القيس في شعره قائلاً :

"وأصبحتُ ودعت الصبا غير أنني

أراقب خلات من العيش أربعا

فمنهن قولي للندامى ترفقوا

يداجون نشاطاً من الخمر مترعا

ومنهن ركض الخيل ترجم بالقنا

يبادرن سرباً آمناً أن يفزعا

ومنهن سوقي الخود قد بلها الندى

تراقب منظوم التمائم مرضعا"(الجويدي، 2008: 225)

فهنا نرى أن الشاعر محب لجمال المرأة صاحبة الوجه الجميل والخدود الناعمة، وهو يمزج في شعره بين غزله بالمرأة، ووصف الخمر والصحبة وجلسات السمَر، وكذلك يمزجه مع وصف الخيل أيضاً، وهذا كله يعود إلى طبيعة الحياة والبيئة المحيطة بالشاعر ومدى تأثره بها.

فالشاعر يخلط في غزله أنواعاً أخرى من الأغراض الشعرية، كوصف الحيوان، أو الوقوف على الأطلال والأماكن الدارسة، أو المدح، أو الهجاء، أو الرثاء أيضاً.

فالبيئة وطبائع الحياة البدوية والعادات والثقافة في ذلك العصر، أنتجت نوعين من الغزل في ذلك العصر، منه الصريح الذي يصف المرأة بشكلها الخارجي ومفاتنها، كما أسلفنا قبل قليل مع الشاعر امرئ القيس في أبياته الشعرية "مثله طرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم والأعشى، وزعيمه امرؤ القيس الذي أبدع في تجسيد الغزل المادي، وتفنن في أوصاف جمال المحبوبة" (معاليقي، 212: 102)، ومنه مَن كان يضع حدوداً في غزله بالمرأة ولا يتجاوز تلك الحدود نظراً لبعض التقاليد القبيلة والعادات التي ورثوها قبل مجيء الإسلام، فكان غزله غزلاً عفيفاً، ونذكر على سبيل المثال الشاعر زهير بن أبي سلمى، فقد كان من أنصار الغزل العفيف، ويخلط غرض الغزل بالأغراض الأخرى، وهو في معلقته الشهيرة والتي يبدؤها بالغزل والوقوف على الأطلال، ثم يدخل في غرض آخر ألا وهو المدح.

"أمِن أم أوفى دمنة لم تكلم

بِحومانة الدراج فالمتثلم

بها العين والآرام يمشين خلفة

وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة

فلأياً عرفت الدار بعد توهم

يميناً لنعم السيدان وجدتما

على كل حال من سحيل ومبرم"(الشنتمري، 1983: 272)

وهنا الشاعر في الأبيات الثلاثة الأولى يصف ديار المحبوبة، وماذا حلّ بتلك الديار، وكذلك يصف بقر الوحش والظباء، فهو بالكاد تعرّف على ديار المحبوبة، ثم يبدأ في البيت الرابع بالمدح، فهو يمدح السيدين وكرمهما في جميع حالاتهما، في السراء والضراء هما كريمان ومِن أفضل الناس في حالتي الرخاء والشدة.

ونستنتج مما سبق أن الغزل في العصر الجاهلي قد تأثر بالبيئة والعادات والتقاليد الموجودة، واختلط الغزل بالأغراض الشعرية الأخرى، وكان وصف مجالس الخمر، والحيوان ظاهراً وبادياً بشكل ملحوظ أيضاً، وبالرغم من انتشار الغزل الصريح الذي يصف المرأة بمفاتنها، إلا أنه كان هناك أيضاً الغزل العفيف الطاهر، والذي كان يحترم المرأة ولا يتجاوز في وصفها متأثراً في ذلك ببعض العادات والتقاليد القبلية التي كانت منتشرة في ذلك العصر قبل ظهور الإسلام.

.2.2.1..أثر العامل الديني وظهور الإسلام في شعر الغزل:

ظهر الإسلام بتعاليمه الدينية الداعية إلى الأخلاق والموعظة الحسنة، والبعد عن الفحشاء والمنكر، ودعا إلى صون وحفظ المرأة وكرامتها، فلها حقوقها وواجباتها، ولم تعد كالسابق سلعة تُباع وتُشترى، وبظهور الدين الحنيف، دين العدل والمساواة، أُبطِلت تلك العادات والتقاليد البالية التي كانت تظلم المرأة، وأصبح ذكر المرأة بالكلام الفاحش والتعرض لها مِن المحرمات، وأصبح الرادع الديني عند الشعراء سبباً في تهذيب أشعار الغزل عموماً، فكان الإسلام بدعوته وقوانينه وشريعته وأخلاقياته بمثابة المنظم والضابط لعلاقة المرأة بالمجتمع، وبالتالي لشعر الغزل أيضاً، فالشعر مرأة عصره، وهذا أدى بدوره إلى حدوث نقلة نوعية في الغزل بين العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام، تلك النقلة أدت إلى أن ينتشر الغزل العفيف بنقاوته وطهارته وذكره الحب والاشتياق ومرارة الفراق والألم واللوعة، ويطغى على الغزل الصريح بوصفه المرأة ومفاتنها بألفاظه الفاحشة التي كانت تؤدي أحياناً إلى الفتنة والاقتتال بين القبائل، فالإسلام هذّبَ الغزل، وجعله أكثر طهارة ونقاوة وعفة"فلما جاء الإسلام حافظ على الأعراض، ونبّه إلى المحارم، وحثّ على عفة اللسان، والبعد عن ذكر حلائل الآخرين، وعدم التعرض لهن من قريب أو بعيد تلميحاً أو تصريحاً، فكان لزاماً على الشعراء أن يرضخوا لهذا الأمر" (زلط، 1983: 54)، ونرى في هذه الأبيات كيف يأتي غزل شاعر الرسول الأكرم- حسان بن ثابت:

"تَبلت فؤادك في المنام خريدة

تشفي الضجيج ببارد بسّام

أقسمت أنساها وأترك ذكرها

حتى تُغيّب في الضريح عظامي

يامَن لعاذلة تلوم سفاهة

ولقد عصيتُ إلى الهوى لوامي"(محمد، 2000: 43)

فهنا الشاعر حسان بن ثابت يتناول الغزل العفيف بأبهى صوره، بألفاظ سهلة واضحة بعيدة عن التكلّف والغموض، وهي ألفاظ تبتعد عن الغزل الصريح المادي، فهو يذكر الحبيبة وألم الحب الذي يأتيه في منامه ويعذبه ويحرك وجدانه، وهو يُقسم بأن ينساها حتى آخر يوم في حياته، ولا ينسى شاعرنا لوم الحاسدين في أبياته.

نعم، إن الإسلام كان له الأثر الجلي الواضح في تهذيب الأنفس، وتهذيب الشعر المتعلق بالمرأة، ليكون في غالبه شعراً عفيفاً طاهراً لا يتعرض للمرأة بألفاظه الفاحشة المحرمة التي تنقص من قدر المرأة وشأنها.

.3.2.1..أثر العامل السياسي والمكاني في الغزل الحضري للعصرالأموي:

تعددت الأحزاب السياسية واختلفت فيما بينها نظراً للخلافات السياسية التي حصلت نتيجة أحقيّة الخلافة، وازدهر الغزل حينها في الحجاز خاصة، وذلك نظراً لعوامل عدة، ومن أهم تلك العوامل الترف والغنى ورغد العيش الذي أصاب تلك المنطقة، وذلك بسبب انتقال مختلف القريشيين إلى الحجاز ومحاولات إبعادهم عن أمور الخلافة"جمعَ معاوية القريشيين من أطراف البلاد العربية وحصرهم في الحجاز، وأغدق عليهم الرزق ليصرفهم عن أمور الخلافة، فمالوا إلى الترف، وعكفوا على أطايب الحياة" (فاخوري، 1986: 441).

ومن البديهي أن ينصرف الشعراء نتيجة رغد العيش والحياة الهانئة إلى الغزل في ذلك الوقت، فالظروف كانت مهيأة لذلك، وبالرغم من وجود الغزل العفيف، فقد ظهر الغزل الحضري المادي أيضاً "شعر الغزل في الحجاز قد اتخذ اتجاهين واضحين، الأول انطلق في نطاق الغزل المادي الحضري الذي

كان على رأسه الشاعر عمر بن أبي ربيعة، والثاني انطلق في اتجاه الغزل العفيف" ينظر : (الشكعة، 1997: 113).

والجدير بالذكر هنا، هو أن الغزل المادي الذي وجد في هذا العصر، يختلف نوعاً ما عن سابق عهده، وذلك من حيث الإفراط في ذكر مفاتن المرأة، أو الكلمات الفاحشة دون قيد أو رقيب، بل ظهرت بعض الضوابط الدينية الاجتماعية التي تقيده "الغزل الحجازي خال من المجاهرة بالفحش، والصراحة الممقوتة في وصف العلاقة بين الرجل والمرأة" (أحمد، 1982: 12)؛ يقول عمر بن أبي ربيعة في إحدى قصائده الغزلية:

"لما دخلتُ منحتُ طرفي غيرها

عمداً مخافة أن يُرى ريع الهوى

بيضاء مثل الشمس حين طلوعها

موسومة بالحسن تعجب مَن رأى"(المصدر السابق، 21)

هنا يبدو جلياً كيف يصف الشاعر نظراته لمحبوبته والتي حوّلها لغيرها مِن رهبة العشق والهوى، وعندما يصف جمال محبوبته لم يُفرِط ولم يبالغ في ذكر مفاتنها، وكذلك لم يستخدم الألفاظ الفاحشة، فمحبوبته كالشمس الساطعة في الحسن والجمال.

وكما رأينا ففي العصر الأموي ازدهر الغزل في منطقة الحجاز خاصة، وذلك نظراً لأسباب تعود إلى العامل المكاني المتعلق بالسياسة في ذلك الوقت، وكذلك العامل الاقتصادي الذي جعل مِن منطقة الحجاز مكاناً لرغد العيش وراحة البال، فكان ذلك سبباً في اهتمام الشعراء بالغزل، ووجدوا الوقت الكافي له، ولم يكن الغزل الحضري المادي في ذلك الوقت كسابق عهده في الإفراط والمبالغة في الصراحة ووصف المرأة والتغزل بمفاتن جسدها بألفاظ خادشة بعيدة عن الحياء، بل كان أكثر انضباطاً مما سبقه.

.3.1..المطلب الثالث : الغزل في المرحلة الذهبية للعصر العباسي:

الغزل كغيره من الأغراض الشعرية يتأثر سلباً أو إيجاباً بالتطورات الحاصلة في المجتمع، ففي العصر العباسي الأول حصلت تطورات هائلة في بنية المجتمع، وكذلك في الاقتصاد والعمران والاختلاط بباقي الشعوب والانفتاح الكبير في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والأدبية والسياسية والفكرية" لقد آثرنا أن نسمي كتابنا هذا – الشعر في العصر العباسي الأول- وهو العصر الذي قد يسميه غيرنا عصر القوة أو العصر الذهبي، فالقوة قد تنصرف إلى السياسة قبل أن تنصرف إلى الشعر، والذهبية التي يُوصف بها العصر الأول لا تخصه وحده، بل يمكن تعميمها على العصر الذي ظهر فيه البحتري وابن الرومي وأبو الطيب المتنبي وأبو العلاء المعري" ينظر: (طليمات وأشقر، 2018: 38).

فالعصر العباسي عموماً كان عصر ازدهار ونبوغ أعلام في الأدب والشعر وغير ذلك في شتى المجالات، فجدير به أن يُسمى العصر الذهبي.

وإذا كانت مظاهر الحياة جميعها قد ازدهرت في تلك الفترة، فلابد للغزل أن يتطور بطبيعة الحال، فهل هذا التطور الذي حصل للغزل هو تطور إيجابي يرتقي بهذا النوع من الشعر إيجاباً في سلّم الأخلاق والضوابط الأخلاقية والمجتمعية؟!.

أم أن ما حصل في المجتمع أنتج أنواعاً من الغزل لم يشهدها العرب والمجتمع مِن قبل في الاتجاه السلبي؟!.

إن الأوضاع التي آلت إليها البلاد في تلك الفترة، ورغد العيش، والترف والبذخ، والاختلاط بباقي الشعوب، كل ذلك أنتج أنواعاً جديدة من الغزل لم تكن معهودة من قبل "بعد أن انتقلت حاضرة الدولة العربية من دمشق إلى بغداد، وجد العرب أنفسهم مضطرين إلى معايشة شعوب ذوات

ثقافات تزاحم ثقافاتهم، وأخلاق تخالف أخلاقهم، ثم تطغى عليها، وتشوب غزلهم النقي بأوشاب لم يعرفوها" (المصدر نفسه، 420).

فالارتقاء في أنواع الغزل وأعدادها، لايعني بصريح العبارة أن هذا الارتقاء نحو الأفضل بضوابطه الدينية والاجتماعية والأخلاقية، بل أفرز أنواعاً من الغزل جديدة وغير مألوفة، بل يكاد ينفر منها كل عاقل وصاحب أخلاق"ومَن يستعرض ما انطوت عليه دواوين الشعر المنحدرة إليه من العصر العباسي الأول، يقف على أنماط عدة، أولها المقدمة الطللية، وثانيها وصف الظعائن، والثالث وصف الطبيعة، والرابع وصف المطالع التقليدي، والخامس الغزل العفيف، والسادس الغزل الحسي، وهذا النمط ثلاث شعب: الحسي غير المتعهر، والداعر، والشاذ، والسابع الغزل المتكلف، والثامن غزل الكهول، فإذا جعلتَ الفروع أصولاً، كان لديك عشرة أنماط أشنعها الغزل الشاذ"؛ ينظر: (المصدر نفسه، 420).

فإننا نرى من خلال هذه التقسيمات أنواعاً من الغزل لم يألفها ولم يتعود العرب على ذكرها في كتبهم قبل ذلك، ونخص بالذكر الغزل الداعر والشاذ بأنواعه المختلفة، وكذلك غزل الكهول.

والشذوذ كلمة مُستكرَهة غريبة على المجتمع العربي بعاداته وتقاليده وضوابطة الدينية والأخلاقية، ولكنه ظهر في غزل العصر العباسي نتيجة تظافر عوامل عدة أسهمت في ذلك.

1.3.1.أشهر أنواع الغزل في العصر العباسي:

بما أن الأدب هو مرآة عصره، فقد انعكست تطورات العصر العباسي على شعر الغزل أيضاً، وسنختار في حديثنا أهم الأنواع التي كانت ظاهرة في ذلك العصر.

.1.1.3.1..الغزل بالمذكّر (الغُلام):

إن الغزل بأسمى جمالياته يكون إحساساً نحو طرف آخر نتيجة حب داخلي أو إعجاب بصفات الطرف الآخر ، ومنذ أن خلق الله الكون، كان طبيعياً الحب والغزل والإعجاب بين المرأة والرجل، أما

أن يكون الغزل متوجهاً من المذكر للمذكر، فهو أمر يسترعي الانتباه و التعجب والتفكير العميق، والوقوف عنده أيضاً، ولابد أن يظهر هذا النوع من التغزل نتيجة ظروف سهّلت وأفسحت له المجال، ابتداء من الاختلاط الكبير بالثقافات الأخرى، وكذلك انتشار وسائل الترف، وليس انتهاء بأماكن شرب الخمر والملذات واللهو بشكل متزايد في ذلك العصر.

فهنا البحتري في شعره يصف غلاماً ويتغزل بجماله، ويشبهه بالرشا، ويضفي عليه سمات الجمال فخدوده كالزهرة في الحسن، واختلط ريق ذلك الغلام بالخمر، وهو غلام يزيده الخجل حسناً وجمالاً:

"سقاني القهوة السلس

شبيه الرشا الأكحل

مزجتُ الراح مِن فيه

بمثل الراح أو أفضل

ومن ورد بخديه

إذا جَمّشته يخجل"(الصيرفي، 1963: 1713)

ولا جَرَمَ أن هذا النوع من الغزل هو غريب عن العادات والتقاليد التي جُبِل عليها العرب، وهو طارئ في ذلك العصر نتيجة الأحوال السائدة آنذاك، وكذلك الشاعر أبو نواس كان من أبرز الشعراء في ذلك المجال، فهو يتغزل بالمذكر ويصف غلاماً في جمال عينيه حالة الذبول، وجمال فمه، وكذلك عذوبة كلامه، فيقول:

"ومازال يسقينا ويشرب دانياً

إلى أن تغنّى حين مالت به سُكراً

فيا حسنَه لحناً بدا من لسانه

ويا حسنه لحظاً ويا حسنه ثغراً"(التونجي، 1997: 216)

.2.1.3.1..الغزل بالغلاميات (المُتَشبّهة بالغلام):

مع انتشار أماكن شرب الخمر واللهو والمجون في العصر العباسي، انتشر معه شعر الغزل بالغلاميات، ونجد في أشعار الشعراء في ذلك العصر الكثير من هذا النوع من الغزل، فلم يقتصر الغزل على الغلمان مِن الذكور فحسب، بل تعداه إلى الغلاميات من الإناث، وقد تتشبه تلك الغلامية بالغلمان من الذكور في مظهرها الخارجي، وهذا لم يكن مستغرباً في ذلك العصر مع انتشار أنواع كثيرة من مظاهر الحياة المستَغرَبة حينها، وقد أكثر الشاعر أبو نواس في قصائده مِن هذا النوع، فيقول:

"عذبني حب غلاميات

ذوات أصداغ معقربات

مقومات القدّ مهضومات

يمشين في قمص مزرّرات"(المصدر نفسه، 97)

فالشاعر معجب بجمال وسحر الغلاميات اللائي يتمتعنّ بقَوام ممشوق، وكُنّ مع جمالهن ولباسهن المغري الفاتن، يتمتعنّ بظلّ خفيف، وهضامة تعجبُ الناظر.

.3.1.3.1..الغزل بالجواري:

مع الازدهار الاقتصادي الذي حل بالبلاد في العصر العباسي، وكذلك بناء القصور الفخمة، والانفتاح الذي حصل والاختلاط بشعوب عدة، كان من الطبيعي أن يتجاوز الغزل شكل الغزل بالحبيبة والزوجة، وتعدى ذلك إلى الغزل بالجارية التي تخدم في قصور الملوك والأمراء، أو في أماكن اللهو والمجون، ومع غياب الالتزام بالعادات والتقاليد العربية الموروثة، وكذلك عدم الانضباط الديني والأخلاقي

أحياناً، كان من الرائج أن نرى الغزل بالجارية وفي بعض الأحيان يكون هذا الغزل إباحياً فاحشاً يحتوي على ألفاظ غير مألوفة مسبقاً في أشعار العرب بهذا الشكل البيّن، ففي ذلك يقول أبو نواس:

"وناهِدة الثديين مِن خَدَم القصر

سبتني بحسن الجيد والوجه والنحر

فقلتُ اشربي إن كان هذا محرماً

ففي عُنقي يا ريم وِزرك مع وزري"(الأبشيهي، 1986: 337)

فهنا الشاعر يبالغ في الغزل من الناحية الإباحية في وصف جارية، فيصف ثدييها، وكذلك معظم أجزاء جسدها، ويدعوها لشرب الخمر معه، وألا تخاف من الحرام في ذلك الشرب، فالشاعر من أجل وصال تلك الجارية وشربها معه، سيتحمل وزر هذا الشرب.

وإننا نرى أن درجات الغزل قد وصلت في هذا العصر إلى مستويات قد تكون غير مألوفة، وليس من ناحية الدين فقط، بل من ناحية الالتزام بالموروث من العادات والتقاليد التي يتناقلها العربي جيلاً بعد جيل، وهي عنده من الثوابت، وكذلك من ناحية الطبائع التي جُبل عليها العربي والتي تشرّبها من بيئته ومجتمعه وقبيلته.

.4.1.3.1.غزل الكهول:

لم يكن الغزل في العصر العباسي مقتصراً على الشعراء الشباب فقط، بل وبسبب الأحوال والازدهار ودعة الحياة في ذلك العصر وراحتها، كان هنالك الغزل الذي يصدر ممن هم من فئة الكهول والشيب يعلو رأسهم، وفي ذلك نستمتع بهذه الأبيات الرائعة والتي يحاور الشاعر فيها نفسه عن محبوبته، فهو يطلب، ويعرف إجابة طلبه، فالشيب والكبر في السن، كانا السبب في صد محبوبته عنه، ولكنه بالرغم مِن عِلمه بكبر سنه، لا يتوانى عن التغزل وطلب الوصال، فيقول في هذه الأبيات الجميلة :

"نظرَت إليّ بِعين مَن لم يعدل

لما تمكّن طرفها مِن مقتلي

لما تبسم بالمشيب مفارقي

صدّت صدود مُفارِق مُتحمل

فجعلتُ أطلب وصلها بتعطف

والشيب يغمزها بألا تفعلي"(القالي، 2010: 159)

فالشاعر يطلب الوصال ويطلب العطف والقبول من محبوبته، ولكنه في الوقت نفسه يعترف ضمنياً بينه وبين نفسه بأن الرفض سيكون مآله، وذلك بسبب ما آل إليه من الكبر ، فقد بلغ من العمر عتياً.

.5.1.3.1.الغزل العفيف:

بالرغم من أننا تكلمنا قبل قليل عن أنواع مختلفة من الغزل في العصر العباسي، وجُلّها يدخل في إطار الغزل الصريح البعيد عن الدين أو الأخلاق أو العفة أو العادات والتقاليد العربية الموروثة، إلا أننا في الوقت نفسه نجد أن هنالك بعض الشعراء الذين حافظوا على العفة والطهارة والكلمات العذبة الرقيقة والتي لم تلوثها مظاهر الحضارة، وبقيت محافظة على رونقها وأصالتها، والوجدان والعاطفة الداخلية التي بداخلها تبقى مفعمة بالحب ولوعته، والشوق ورونقه، والغيرة بأسمى معانيها، وفي ذلك يقول الشاعر العباسي ابن المعتز :

"أغار عليكِ مِن قلبي إذا ما

رآك وقد نأيت وما أراك

وطيفي حين نمتُ فباتَ ليلاً

يسير ولم أسِر حتى أتاك

وغيثاً جاد ربعاً منك فقراً

أليس كما بكيتك قد بكاك"(الصاوي، 1936: 238)

وهنا يبدو الغزل العفيف الطاهر بأبهى صوره، وهو بعيد عن وصف المحبوبة بأوصاف جسدية خارجة عن المألوف، وتنقص من قيمة المرأة، وتصف مفاتنها بصورة حسية فاضحة، ويستخدم الشاعر في ذلك عاطفة صادقة ووجدان داخلي مفعم بالحب والغيرة وحتى البكاء، فما أجمله مِن غزل!.

.6.1.3.1..غزل مَطلع (مقدمة) القصيدة:

كان الشعراء منذ عصر الجاهلية يلجؤون في معظم الأوقات إلى مقدمات غزلية في بداية أشعارهم، وبعد تلك الأبيات يبدأ الشاعر بالغرض الرئيسي لقصيدته، سواء في المدح أو الرثاء أو غير ذلك من الأغراض الشعرية "لم يكن الجاهليون يراعون حسن التخلص واتصال أجزاء القصيدة ببعضها البعض، والذي ينشأ عنه ارتباط مقدمة القصيدة بمضمونها وما يليه، أما العباسيون وخاصة أبا تمام وابن الرومي والمتنبي فقد جاؤوا فيه بمحاسن حازت رضا الشعراء والنقاد واستحسانهم" (ضيف، 1966: 155).

فطبيعة الحياة وتسارعها في العصر العباسي، وما طرأ على الشعر من تغيرات، قد جعل الشعراء يختصرون في مقدماتهم الغزلية، وقد أجادوا في سبك المقدمة مع ما يليها من الأغراض الشعرية، فامتازوا بذلك بحسن التخلص في أبهى صوره.

فالشاعر العباسي أبو تمام في قصيدته التي غرضها الرئيسي المدح، نراه يبدأ بمقدمة غزلية يجسد فيها قيمة المرأة في داخله، قائلاً:

"يا هذه أقصِري ما هذه بشر

ولا الخرائد من أترابها الأُخر

خرجنَ في خضرة كالروض ليس لها

إلا الحليّ على أعنقها زهر

قالوا أتبكي على رسم فقلت لهم

مَن فاته العين هدّى شوقه الأثر"

فيصل إلى غرضه الرئيسي في المدح قائلاً:

"إن الكرام كثير في البلاد وإن

قلّوا كما غيرهم قلّ وإن كثروا" (صبحي، 1997: 328)

نرى هنا أن الشاعر قد بدأ قصيدته بمقدمة غزلية بدأها باستخدام أسلوب النداء، وفي استخدام أسلوب النداء هذا جمال وروعة في الاستهلال، فالقارئ والمستمع سيكون في لهفة لمعرفة ماذا سيأتي بعد هذا النداء، وقبل أن يبدأ بالغرض الرئيسي الذي هو المدح، نراه يستخدم البكاء (قالوا أتبكي) فانتقل من البكاء إلى المدح بأسلوب رشيق سلس دون تعقيدات تُذكر، ودون إطالة وإسراف لا طائل منه في المقدمة، وبعد ذلك يبدأ بالمديح بقوله (إن الكرام...).

وكذلك نرى في العصر العباسي أيضاً أن بعض الشعرء لم يختصروا المقدمات الغزلية فحسب، بل دعوا إلى تركها أيضاً "فقد غلا أبو نواس في الدعوة إلى ترك الافتتاحية الغزلية التقليدية للقصيدة، التي تدور حول بقايا الديار والبكاء عندها والوقوف عليها، وأسرف في القول بوجوب نبذها" (البهبيتي، 1950: 417).

وهكذا نرى مما سبق ذكره أن الغزل العباسي كان مليئاً بأنواع جديدة من الغزل، بعضها كان غريباً عن العادات والتقاليد الاجتماعية والأخلاق والدين، وساهمت في ذلك عوامل عدة، كان من أبرزها الازدهار والتقدم الحضاري والعمراني والاختلاط والتماذج والانفتاح على ثقافات وشعوب أخرى

لا تنتمي إلى الثقافة العربية بل و مغايرة لها، وكان لانتشار أماكن اللهو والمجون وشرب الخمر الأثر الكبير، والواضح في نوعية الأشعار المستخدمة في الغزل وغرابتها وخروجها عن المألوف سواء من ناحية التغزل بالمذكر والغلمان أوالغلاميات والجواري أو استخدام الألفاظ الفاحشة الشاذة، والجهر بالمعصية في الغزل وأسلوبه.

2. المبحث الثاني

الاتجاه الرومانسي في الأدب الحديث

.1.2.. المطلب الأول: الرومانسية – المفهوم والنشأة:

الأدب كما ذكرنا سابقاً يتأثر بجميع الظروف المحيطة بالمجتمع، سواء أكانت ظروفاً سياسية أو ثقافية أو اقتصادية أو تحررية أو غير ذلك، والمجتمعات في تطور مستمر، وبما أن الأدب مرآة لعصره، فمن البديهي أن يشمل هذا التطور الأدب بجميع فنونه مِن شعر وغيره، وكذلك يشمل المدارس الأدبية التي ظهرت خلال مراحل عدة، وإن من أهم أسباب ظهور المدرسة الرومانسية هو محاولة أنصارها التجديد والتمرّد على المدرسة الاتباعية التي تدعو إلى اتباع القدماء، وذلك لفتح أفق التفكير والخيال، و إحياء الطبيعة، وكسر روتين التقليد سواء في الشعر وقواعده وأوزانه وتفعيلاته، أو في مجالات الأدب الأخرى، ونظراً لتنوع تعريف الرومانسية، سنختار هذين التعريفين على سبيل المثال لا الحصر:

"الحركة الأدبية والفنية والفكرية التي ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر، والتي نادت بإعلاء العاطفة والخيال، وهي مشتقة من كلمة رومانس، وتعني كل لغة حديثة انفصلت عن اللغة اللاتينية الأم" ينظر: (عبد الحكيم، 1976: 77)، وكذلك جاء تعريف الرومانسية أيضاً :

"تيار أدبي ظهر في إنكلترا وألمانيا في القرن الثامن عشر، أهم مميزاته: طلب الحرية، والإغراق في الغنائية، وتقديم الخيال على العقل، والإفراط في الاهتمام بالذات، إحياء الطبيعة والرغبة في الهروب من الواقع" ينظر: (يعقوب وبركة وشيخاني، 1987: 197).

فيتضح من خلال هذين التعريفين أن الرومانسية تطلق الخيال للفكر والتجديد والإبداع، وأنصارها يلجؤون إلى الطبيعة للهروب من الواقع الموجود، والطبيعة بحد ذاتها مصدر للتجديد والخيال،

وبما أنها تدعو إلى الغنائية، فهو بحد ذاته دعوة للتغيير في قوالب القصيدة والشعر، فما أسباب نشأة الرومانسية في أدبنا العربي يا ترى!؟.

.1.1.2.. أسباب نشأة الرومانسية في الأدب العربي الحديث:

الرومانسية التي تدعو إلى الحب، وإعطاء الغزل مرتبة عالية في الشعر، وضرورة التجديد في قافية الشعر وترك التقليد والاتباع، وإعطاء الأولوية للعاطفة والخيال، قد ظهرت في الأدب والشعر العربي نتيجة عوامل، نذكر منها:

.1.1.1.2.. الاحتكاك بالغرب:

وذلك عن طريق الهجرة إلى تلك البلاد نتيجة ظروف مختلفة، فقد ساهم هذا بشكل كبير في الاتصال بالثقافة الغربية، والتأثر بها، والأخذ منها، وكان من ذلك أن بدأ بعض الأدباء والشعراء بتقليد الغرب في بعض أنواع الأدب"الذين هاجروا إلى أمريكا شمالها وجنوبها تحت الضغط في بلادهم...نزعوا إلى الشعر الوجداني الذاتي، وكرهوا الأدب التقليدي، تأثروا بالأدب الانجليزي أيما تأثر، وقلدوه في بعض أنواعه وهو الشعر المرسل والشعر الحر" (الدسوقي، 1950: 232-233).

وهذا اتجاه مهم وكبير وخاصة من ناحية الشعر الحر، فقد كان الشعر العمودي والالتزام بقواعد الوزن والقافية فيه مسألة في غاية الأهمية، وهنا نرى كيف أن أنصار المدرسة الرومانسية قد وقفوا بوجه المدرسة الاتباعية بتقليدها للقديم وعدم التجديد.

2.1.1.2. تأثير مدرسة الديوان:

والديوان هو اسم كتاب لعباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني "حصل العقاد والمازني على مجموعة المختارات الشعرية المشهورة التي جمعها أستاذ الشعر بجامعة أكسفورد، والتي عرفت باسم –

الكنز الذهبي – وهي مجموعة تضم أفضل ما كتبه الشعراء الإنجليز من شعر غنائي ووجداني، فنهل منها العقاد والمازني، في هذا الوقت ظهرت مدرسة الديوان وتبين أن المنهج الشعري الذي اختارته هذه المدرسة ودعت إليه، هو المنهج الذي صدر عنه جامع الكنز الذهبي نفسه، ولاحظ النقاد أن كثيراً من المعاني الشعرية التي تخللت شعر هذه المدرسة كانت موجودة في المجموع" (نشاوي، 1984: 169).

وهذا يدل على التأثر الواضح والكبير لدى العقاد والمازني بتلك الأشعار ذات الطابع الغنائي الوجداني، وهو من أهم ما كان يدعو إليه أنصار المدرسة الرومانسية في ذلك الوقت، وكذلك دعا جماعة الديوان إلى أن تكون عاطفة الحب في أعلى مراتب العواطف جميعها، وقد اهتموا بالغزل اهتماماً مميزاً "أهم عاطفة عند جماعة الديوان عاطفة الحب، فهي أعلى العواطف بالنفس، ومنها تنشأ عواطف كثيرة... ومن أجل ذلك جعلوا للغزل منزلة كبيرة في الشعر"(جعفر، 1973: 195).

وكذلك كان لهم رأيهم في بناء القصيدة، والثقافية أيضاً، يقول العقاد قاصداً صديقه الشاعر عبد الرحمن شكري"له في ميدان القريض مثل الرائد الذي سبق زمانه في عدة صفات مأثورات، فهو أسبق المتقدمين إلى توحيد بنية القصيدة، وإلى التصرف في القافية على أنواع التصرف المقبول" (المصدر نفسه، 223).

وهذا يعني بطبيعة الحال دعوة واضحة مِن قِبل أنصار الرومانسية أيضاً إلى التخلي عن الشكل التقليدي للقصيدة الشعرية من حيث البنية، وكذلك وحدة القافية.

3.1.1.2.. جماعة أبولو:

وكان لهذه الجماعة أفكارهم في النظرة إلى الشعر، وكان مؤسسها متأثراً بالأدب الغربي "كان مؤسسها أحمد زكي أبو شادي يدرس في إنكلترا، وحين عودته أعلن انتماءه إلى الأدب الغربي" ينظر: (الدسوقي، 1971: 307).

"جماعة أبولو دعت أن يكون الشعر خالصاً للشعر، ورفضت التكسب بالشعر، أو أن يكون للشعر أو الفن عموماً أي هدف غير فني، ودعت إلى كتابة الشعر القصصي، والقصيدة الهرمية، والاستفادة من نظام الموشحات الأندلسية، والأوبرات الشعرية" (عباس، 2003: 86).

فالأدب الرومانسي بفنونه وشعره يدعو إلى التحرر من قيود العقل والانطلاق إلى أفق خيال واسع، وكذلك إلى الذاتية والغنائية بما ينطوي على ذلك من توغل في أعماق النفس البشرية، فمن خلال الاندماج بالطبيعة والهروب من الواقع وجدوا في الرومانسية أفضل أسلوب للتعبير عن المكنونات الدفينة، فكان الحب والعاطفة والغزل والطبيعة والخيال الجامح، من أهم سماتهم التي يتميزون بها.

2.2. المطلب الثاني: خصائص أشعار الغزل والحب لدى الرومانسيين العرب:

تميز الشعر العربي الرومانسي بعناصر ومكونات عدة، سنذكر أبرز وأهم هذه المكونات، مع شرح لسماتها أيضاً.

1.2.2.. عاطفة الحب السّامِية:

أعطى الرومانسيون الحب مرتبة رفعية ومتميزة، فقد كانت لأشعار الحب والغزل والمرأة حيزاً كبيراً في قصائدهم، وبما أن الرومانسي يغلّب العاطفة على العقل، فقد كانت العاطفة الإنسانية لديهم صادقة، وتسرح في خيالها إلى الأفق البعيد مع المحافظة على نُبل المرأة غالباً، فالشاعر الرومانسي يُعلِي – غالباً – مِن شأن وقيمة المرأة، فلذلك خرجت أشعارهم المتعلقة بالمرأة في أبهى وأجمل صورها، ولم تكن كلمة الحب مقتصرة على المرأة فحسب، بل كان الحب عندهم كلمة سامية مقدسة تتعلق بالمحبة بشكلها العام، محبة الإله، والطبيعة، المحبة الإنسانية الممتزجة بصدق العواطف ونبلها، فعندما تُشحَن صور الخيال الواسع بصدق العاطفة الإنسانية، فستكون النتيجة كلمات تخرج من القلب لتدخل في القلب مباشرة "إن مثالية العديد من الرومانسيين كانت تكسو الحب نُبلاً وسمواً، وترى فيه شكلاً مِن

أشكال عبادة الله أو الطبيعة...لقد كانت لهذه العاطفة بسبب طابع القداسة هذا؛ الحق بمكانة الصدارة في الأدب الرفيع" (تيغيم، 1981: 35).

وقد عبّر الشاعر اللبناني الرومانسي جبران خليل جبران عن ذلك الحب بكلمات في غاية الجمال والروعة، وهو من شعراء العصر الحديث "نابِغة كُتّاب المهاجِر الأمريكية، وأوسعهم خيالاً، أصله من دمشق، نزح أحد أجداده إلى بعلبك ثم إلى قرية بشعلا في لبنان، وانتقل جده يوسف جبران إلى قرية بشري وفيها ولد سنة 1883م" (الجويدي، 2011: 7).

"والحب في الناس أشكال وأكثرها

كالعشب في الحقل لازهر ولاثمر

وأكثر الحب مثل الراح أيسره

يرضي وأكثره للمدمن الخطر

والحب إن قادت الأجسام موكبه

إلى فراش من الأغراض ينتحر

كأنه ملك في الأسر معتقل

يأبى الحياة وأعوان له غدروا

ليس في الغاب خليع

يدّعي نُبل الغرام

فإذا الثيران خارَت

لم يَقل هذا الهيام

أعطني النّاي وغنّ

فالغنا حبّ صحيح

وأنين النّاي أبقى

مِن جميل ومليح" (جبران، 1994: 422)

فهنا الشاعر يعبر عن الحب الرومانسي بأبهى صوره، فهو حب ينبع من عاطفة صادقة سامية، وهو يحذّر من أن الحب الذي يكون هدفه الملذة الجسدية فحسب، هو حب لابد وأن يكون مآله الفشل والخسران، وبذلك يعطي للحب والمرأة على حد سواء أجمل قيمة وارتقاء في درجات المشاعر الإنسانية.

2.2.2. الهروب إلى الطبيعة:

الطبيعة والشاعر الرومانسي متلازمان لايكاد ينفك أحدهما عن الآخر، فالطبيعة مِن أهم مقومات الشعر الرومانسي، فيها يعبّر الشاعر عن خلجات نفسه، وإليها يهرب من واقع الحياة والمجتمع، ليجد المتنفس الذي يبحث عنه، وقد يصل الشاعر الرومانسي إلى أن يحاكي الطبيعة، ويصبح جزءاً منها، فهي تفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، وبالتالي ستكون المساحة الأرحب لخيال الشاعر"أصبحت الصور وسيلة للتعبير عن حالة وجدانية نفسية، وهذا نجده في وصف الطبيعة الساكنة والمتحركة التي يلجأ إليها قلب الشاعر ليصحوَ من أحزانه، ويشارك أفراحها" (ناصر، 2013، 499).

فالطبيعة بذلك عند الرومانسيين مشاركة للشعراء في أفراحهم وأحزانهم، فالشاعر الرومانسي بطبيعته يهرب من عادات وتقاليد وقوانين المجتمع إلى الطبيعة التي بدورها لا تؤمن بعادات وتقاليد ولا تتمسك بقوانين تلجم الشاعر وتقيده، فالطبيعة تتسع لعواطف الشاعر برمتها، وتمنحه أكبر قدر من الجنوح في الخيال، فيطلقه الشاعر الرومانسي دونما قيد أو شرط.

وسنختار من ديوان للشاعر التونسي المعاصر (منور الصمادح) المليء بالأشعار الرومانسية هذه الأبيات "ولد بنفطة1931... تخرج في الأزهر، درس بمدارس الجزائر، وبجامعة القرويين بفاس" ينظر: (الجابري،1974: 662) والتي يعبر فيها عن الطبيعة في الشعر الرومانسي أجمل تعبير :

"بسم الربيع فكل شيء باسم

إلا فؤادي فهو لا يتبسم

إني سألت الورد وهو مفتح

والبلبل والنشوان ثمة ينعم

والعطر والأنسام يسري خلسة

كالحب في قلب الفتى إذ يحلم

اصرف همومك وابتسم من قبل أن

تذوي الأزاهر والربيع الملهم"(الصمادح، 1955: 66)

هنا تتجلى الطبيعة لدى الشاعر الرومانسي بأبهى صورها، فهو يلجأ إلى الطبيعة ويخاطبها، وعندما ينظر إلى فرح الحيوانات في الطبيعة، يقارنها بقلبه حيث أنه لايبتسم ولا يفرح كفرح الطبيعة، فالطبيعة هنا سبب من أسباب تفريج هموم الشاعر، فهو يشتكي لها ويحاورها، وعندما يجد الفرح والسعادة متجلية في عناصر تلك الطبيعة، فتكون النتيجة عنده وجوب أن ينسى همومه وأحزانه ويبتسم ويفرح كفرح الطبيعة، فالطبيعة كانت ملهمة للشاعر وجاعلة الهموم والأحزان تبسّماً وسعادة، ومُطلِقة لخيال الشاعر نحو أفق بعيد واسع، فالجنوح إلى الخيال، وشحنه بعواطف إنسانية حارة، هو من أبرز سمات الشاعر الرومانسي.

.3.2.2.. الإغراق في الذاتيّة:

مِن أهم مقومات الشاعر الرومانسي في أشعاره هي العاطفة الصادقة الجيّاشة، والعاطفة هي ذاتية في الأصل لدى النفس البشرية، فلا عَجب أن يتميز الشاعر الرومانسي بذاتيته، وصحيح أن الأدب مرأة عصره، والشاعر يعبّر في شعره عن مجتمعه ويصوره أجمل تصوير، لكن الشعراء الرومانسيين بِمثاليتهم وعاطفتهم الداخلية الجياشة، وذاتيتهم المفرِطة، واللجوء إلى الخيال الواسع، وهروبهم من واقع مجتمعهم وظروفه إلى الطبيعة، كل هذا جعل مِن الشعر الرومانسي صورة لِما يحب الشاعر أن يكون عليه مجتمعه، وليس بالضرورة أن تكون أشعاره جميعها معبرة عن المجتمع، فالرومانسي يجد لنفسه مساحة واسعة في أشعاره ليعبّر عن معاناته الذاتية، وما يشعر به مِن غربة ومرارة وأسى، فشعور الغربة قد يلازم الشاعر الرومانسي، ودائماً ما يتميز الشاعر الرومانسي عن محيطه بِطبائع عِدة تميزه عن الآخرين "الرومانسي غريب في عصره بِشعوره وإحساسه...وهو في كل ذلك مُعتدّ بذاته، يعتقد أنها مركز العالَم مِن حوله، ويجب لذلك أن يتميز عمّن يحيطون به في خُلقِه وعاداته ومبادئه، بل في ملابسه ولهجته، وكان أدبه مرأة ذلك التفرّد" ينظر: (هلال، 2003: 48).

وإن شعور الغربة والقلق والتوتر الدائم، وكذلك الذاتية والمثالية، كل ذلك يفسر لنا نبرة الحزن التي نراها في الشعر، فالشاعر مرهف الحس، كثير التأمل، يتأثر داخلياً أكثر من غيره، يتعامل مع محيطه بِحسّه وروحه، يجعل من كلماته الشعرية أصدق تعبير عمّا يخالج روحه مِن آلام وشكوى وشوق وحنين، وفي ذلك نجد الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان "ولدت في مدينة نابلس بفلسطين عام 1917 في بيت أثري من بيوت نابلس القديمة" (السّحار، 1997: 30).

في أشعارها الكثير من الاتجاه الرومانسي، وهي تُشرِك تجربتها الذاتية وآلامها الدفينة في كلماتها الشعرية.

"حياتي دموع

وقلب وَلوع

وشوق وديوان شعر وعود

بليل الشّحوب

وعمق السكون

تمرّ أمامي كَحلم سرى

طيوف أحبائي تحت الثرى

فتزعج ناري خلف الرماد

ويُغرق سيل الدموع وسادي

دموع الحنين

إلى راحِلين

مضوا وطواهم ظلام اللحود

بقلبي اليتيم

تنادي كلومي"(طوقان، 1947: 42)

هنا بهذه الكلمات الجميلة والمليئة بعواطف إنسانية حارة، تعبّر الشاعرة عن ذاتها مستخدمة ياء المتكلم في مُستهل قصيدتها (حياتي)، فحياتها دموع، وقلبها أصابه الولع والشوق المضني، فكانت حياتها بالنسبة لها شِعراً وغناء يمتزج بالغربة الذاتية، والحزن الشديد، فَلَيلُها شاحب هادئ إلى درجة السكون العميق، وفي قلبها نار الشوق لا تنطفئ، وتشهد على ذلك وسادتها المليئة بدموع الحزن والاشتياق، وفي هذا نجد عمق التجربة الذاتية للشعر الرومانسي، ومدى صدقه وعاطفته وإنسانيته.

.4.2.2.. المرأة والغزل– متلازمة الحب والموت:

احتلت المرأة مكانة مرموقة ومتميزة في شعر الرومانسيين، والمرأة عندهم غالباً ما ترتبط بالطبيعة وجمالها، والشاعر الرومانسي أكثر الشعراء تألماً وبكاء مِن لوعة الحب والفراق والاشتياق، ولا غرابة في ذلك، وذلك بسبب العاطفة الإنسانية الصادقة والجيّاشة، والخيال الواسع، والذاتية المفرطة، والمثالية التي يتمتع بها الشاعر الرومانسي، فهو مرهف الحس، شديد التأثر، وكثيراً مانرى في أشعار الرومانسيين الربط بين الحب والموت، فالانكسار الذاتي، والحزن الشديد، والغربة، كل هذا قد يؤدي إلى أن يتحول الحب إلى سراب، فتختلط مشاعر الحب باللوعة والألم، وحتى عندما يتفاءل الرومانسي وينقاد خلف أحلامه، فغالباً ما نرى الذاتية والنزعة إلى الحزن تتغلب عليه وتقتل في داخله ذلك التفاؤل المؤقت، وقد يكون الحب لدى الشاعر الرومانسي نهاية أمل له في الحياة، فالعلاقة العكسية بين الحب والموت، تتلاشى في نطاق الشعر الرومانسي، وقد ظهر هذا بتعبير أُطلِق عليه – الموت الرومانسي – فقد يؤي الموت إلى راحة أبدية تخلصه من الألم واللوعة والأسى الذي يعانيه "ولا يعني أن الشاعر يرجوه حقاً، لكن مجرد تصوير حاد للرغبة في الخلاص"(القط، 1978: 171).

ولعل مِن أفضل الشعراء الرومانسيين الذين عبروا عن فكرة الألم والحياة والموت، الشاعر التونسي المعاصر (أبو القاسم الشابي) "ومن الأسباب التي جعلَته رومانسياً حبه لفتاة قد لَقِيَت حتفها ولم يستطع أن يتزوجها، وترك هذا الفراق في قلبه أثراً عميقاً...هذه الكوارث هزّت أركان الشاعر، وبدلت نظام حياته، وزادت مرض قلبه سوءاً" (طراد، 1994: 12).

"أيها الحبّ أنتَ سرّ بلائي

وهمومي وروعتي وعنائي

ونحولي وأدمعي وعذابي

وسُقامي ولوعتي وشقائي

أيها الحبّ أنت سر وجودي

وحياتي وعزتي وإبائي

يا شعر أنتَ صدى نحيب القلب والصّب الغريب

يا شعر أنتَ مدامع علقَّت بأهداب الحياة

يا قلب لا تَسكُب دموعك بالفضاء فتندم

فعلى ابتسامات الفضاء قساوة المتهكّم

لكن طيف الموت قاس والدجى طيف رحيم

أسمعتَ نوح العاشق الولهان مابين القبور

يبكي حبيبته فيا لمصارع الموت الجسور

إن الحياة كئيبة مغمورة بدموعها

يا شعر أنت صُداحها في موتها وحياتها"(الشابي، 1970: 19)

هنا في هذه الأبيات الجميلة تتجلى سمات الرومانسية في الشعر بأسمى معانيها، فالعاطفة صادقة جيّاشة، والألم لا يكاد يفارق الشاعر لشدة شوقه وحنينه، فالحب هو سبب بلاء وعناء وأنين الشاعر، وهو سبب المرض والنحول والعذاب الذي أصابه، وكذلك هو سبب نحيب القلب، ويحاول الشاعر دون جدوى أن يقنع قلبه ألا يبكي، ولكن هذا لن ينفع، فالموت ظلام دامس، والعاشق الولهان يتألم ويبكي فراق حبيبته بألم وحسرة وكآبة مريرة ، ولا بد لكلمات الشعر أن تعبّر عن الحب والمحبوبة في الحياة والممات وتصدح به على طول الزمان.

.5.2.2.. الإكثار من استخدام الرمز:

لقد رأينا أن الشاعر الرومانسي يُكثِر من الغموض في أشعاره، وكذلك الجنوح إلى الخيال المفرط، والهروب إلى الطبيعة أيضاً، وكذلك نرى الشعراء الرومانسيين يكثرون من استخدام الرمز في الشعر أيضاً "الرمز هو كل ما يحل محل شيء في الدلالة عليه، لا بِطريق المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عَرَضية أو متعارف عليه" (شعبو، 2006: 38).

فالرمز يزيد الصورة الجمالية في النص، وذلك لأنه يدفع المتلقي إلى الخوض في عوالم النص لمعرفة المعنى الحقيقي المقصود، فهو وسيلة من وسائل جمالية المعنى وتعميقه، وكلما تعمّقَت الدلالة زادت شدة تأثيرها في المتلقي، فالرمز مصدر إيحاء أيضاً "الرمز الشعري يبدأ من الواقع ليتجاوزه دون أن يلغيه، إذ يبدأ من الواقع المادي المحسوس، ليتحول هذا الواقع إلى واقع نفسي وشعوري تجددي... إذ أن الرمز بالنسبة للشاعر محاولة تعبير، ولكنه بالنسبة للمتلقي مصدر إيحاء" ينظر: (فتوح، 1984: 33)، ومِن أجمل وأبهى أنواع استخدامات الرمز لدى الرومانسيين، هو استخدام الرمز مع عناصر الطبيعة، فالطبيعة هي في الأصل مصدر إلهام للشاعر الرومانسي، ولا غرابة في أن يستخدمها في أسلوبه الرمزي، فهذا الاستخدام يتماشى مع طبيعة الشاعر والذي في الأصل يميل إلى الغموض، فالتفاعل بين الشاعر والطبيعة والرمز والخيال، ودمج ذلك بالعواطف الإنسانية الحارة والتي يتميز بها الشاعر الرومانسي، لا شك وأنه سينتج أشعاراً غاية في السحر والجمال.

ولعلّ مِن أروع الشعراء الرومانسيين في العصر الحديث والذين أجادوا في استخدام الرمز، وخاصة مع الطبيعة، هو الشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب، فقد استخدم الرمز الذي استمده من الطبيعة التي ينتمي إليها في العراق أرض النخيل، ففي قصيدته – أنشودة المطر – المليئة بالرموز، بدأها بالتغزّل بِعينَيّ محبوبته وذكر النخيل في مستهل القصيدة، والسيّاب وُلِد في قرية صغيرة في العراق "يبدو

أن النخيل وجد لنفسه وطناً طبيعياً في العراق...تقع قرية مغمورة تدعى جيكور قُدر لها أن تكون ذات شهرة في الأوساط العربية الأدبية لأن شاعراً هو بدر شاكر السيّاب ولد فيها سنة 1926 وأغرِم بحبها" ينظر: (بلاطه، 1971: 17)؛ يقول في مُستهل قصيدته :

"عيناكِ غابتا نخيل ساعة السّحر

أو شُرفتان راح ينأى عنهما القمر

عيناكِ حين تبتسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء كالأقمار في نَهر

يرجّه المجداف وهناً ساعة السحر

كأنما تنبض في غَورَيهما النجوم

وتغرقان في ضباب مِن أسى شفيق

كالبحر سرّح اليدين فوقه المساء

دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف

فتستفيق ملء روحي رعشة البكاء

ونشوة وحشية تعانق السماء

كنشوة الطفل إذا خاف من القمر

كأنما أقواس السحاب تشرب الغيوم

وقطرة فقطرة تذوب في المطر

وكركر الأطفال في عرائش الكروم

ودغدغت صمت العصافير على الشجر

أنشودة المطر

مطر.....

مطر.....

مطر"...(السياب، 162: 1981)

وهنا نرى بشكل واضح كيف استخدم الشاعر الرمز في قصيدته بأبهى صورة، وذلك عندما يدمج الرمز بالطبيعة، ويجعل المتلقي يَلِج في صميم الكلمات الشعرية ويتساءل!؛ مَن هذه التي رمزَ إليها الشاعر في مستهل قصيدته (عيناكِ)!؟ هل هي محبوبته؟ أم وطنه العراق؟ أم والدته؟ أم مَن يا ترى؟!

فالرمز هنا محرّك يستثير عقولنا، وكذلك استخدم الشاعر كلمات مثل: (نخيل – غابة– كروم– ضباب– شتاء – خريف – سحاب – أطفال – عصافير – مطر)، وجميعها كلمات ذات دلالات رمزية تنمّ عن قدرة تعبيرية لدى الشاعر، وتجعل المتلقي باحثاً في تفاصيل إيحاءات ودلالات هذه الكلمات في سياق كلام الشاعر، وهذا في حد ذاته يزيد الشعر ألَقاً ويعطيه رونقاً مُنقَطِع النّظير.

.6.2.2.. الخيال الجامِح والصورة الفنية:

كان الرومانسيون يدعون إلى التجديد، وقد دعوا إلى خيال لا تتحكم به القيود التي تفسده، فالخيال الإبداعي المتجدد والذي يعكس ما تجيش به النفس مِن مشاعر وعواطف إنسانية حارة، كان من أبرز مقومات الشعر الرومانسي.

ونرى رأي عباس محمود العقاد والذي هو من جماعة كتاب الديوان – أبرز رواد الرومانسية – يصف الخيال"الخيال ليس كما هو معتقد نوع من أنواع الكذب أو القول الذي يفترض في قائله أنه لا

يصدق...الخيال لا يخاطب غرائز المتلقي ولا يتوخى تسلية أو إثارة إحساسه، بل يعمد إلى الأشياء التي يحسها الناس إحساساً مبهماً أو مضطرباً فيَجلوها لهم في صورة فنية" ينظر: (الهواري، 1983 : 153- 154).

ونعلم جميعاً أن الصور الفنية مِن تشبيه واستعارة وكناية ورمز وغيرها من أنواع الصور، هي موجودة في الشعر منذ القديم، ولكن الشاعر الرومانسي بما يملكه من إحساس مرهف، وخيال جامح، وعاطفة إنسانية حارة، أضفى على هذه الصورة الكثير"في الشعر القديم الذي كادت الصورة فيه تكون تسجيلاً للأشياء لا انفعالاً بها، أما في الشعر العربي المعاصر فقد أصبحت الصورة الشعرية وكافة عناصر التجربة الأخرى عضواً فعالاً في التجربة الشعرية" (عبد الفتاح، 2006: 481).

فالخيال له دور كبير في إبداع الصورة الفنية، فهي نتيجة التكامل بين أدوات الشاعر وإبداعه وتجديده"أهمية المخيلة في إبداع الصور الشعرية، يعمَد المبدع إلى تفتيت الأشياء وبعثرتها، ومِن ثم هضمها وتمثّلها، ثم يأتي دور المخيلة لإعادة بنائها وتنظيمها، لأن وظيفة المخيلة لا تعني استذكاراً لصور المحسوسات واستعادة تخيلها، ولكنها تجاوزت ذلك إلى وظيفة ابتكارية متميزة" (كندي، 2003: 29).

وفي شعر الشاعر الرومانسي خليل مطران – شاعر الشعور والخيال – الكثير من الصور الفنية والتي تعبر عن إبداع الشعراء الرومانسيين"الشاعر خليل مطران هو شاعر الشعور والخيال، وشاعر بعلبك والأهرام، ولد سنة 1871 بِبعلبك وتعلم فيها" (الهاشمي، 2004: 356)؛ يقول في شعره الذي يمزج بين الغزل والحب والطبيعة والصور الفنية بأجمل صورها :

ولقد ذكرتكِ والنهار مودع"

والقلب بين مهابة ورجاء

والدمع مِن جفني يسيل مُشَعشعاً

بِسنى الشعاع الغارب المترائي

والشمس في شفق يسيل نضاره

بين العقيق على ذرى سوداء

مرّت خلال غمامتين تحدّراً

وتقطرت كالدمعة الحمراء

فكأن آخر دمعة للكون قد

مزجت بآخر دمعة لرثائي

وكأني آنست ليلي زائلاً

فرأيتُ في المرآة كيف مسائي"(مطران، 1967: 146)

وهنا تتجلى أسمى معاني الشعر الرومانسي في هذه الأبيات، فوداع الحبيبة يمزجه الشاعر بصور فنية غاية في الجمال، فالدمع يمتزج بأشعة الغروب، والشمس التي تتجه إلى الغروب وهي آخذة لون الشفق الأحمر، تشبه العقيق على قمم داكنة اللون، وفي النهاية كان زوال الشمس معادلاً موضوعياً لزوال وفناء الشاعر، وهذا يتوافق مع الكآبة والحزن والألم الذي يتصف به الشاعر الرومانسي عادة.

.7.2.2.. التّجديد في الشكل والمضمون:

كانت القصيدة في القديم منذ العصر الجاهلي تقوم على نظام ثابت تقليدي مِن حيث عمود الشعر، والوزن والقافية، وكذلك من حيث البدء غالباً بمقدمات غزلية، ووقوف على الأطلال، أو ذكر

الخيل والسيف والرحلة و.....حتى يصل الشاعر إلى غرضه الرئيسي الذي قد يكون مدحاً لخليفة أو هجاء أو رثاء أو غيره.

وكان أنصار المدرسة الكلاسيكية(مدرسة اتباع القديم) يحاولون الحفاظ على الشكل القديم للقصيدة الشعرية، ولكن أنصار الشعر الرومانسي لم يقبلوا بذلك، فقد كان من خصائص مدرسة جماعة كتاب الديوان في الشعر الرومانسي "رفض اتجاه المدرسة الكلاسيكية (الاتباعية) التي تقوم على اتباع القديم...وحدة الموضوع في القصيدة مما يؤدي إلى تماسك بنائها العضوي، فلايكون البيت وحدة مستقلة قد يؤدي إلى تفكيك القصيدة، عدم التمسك دائماً بالقافية الموحدة لأنها تؤدي برأيهم إلى الملل والخروج إلى نظام المقطوعات أو الأبيات" (بشرى، خضرة، 2018: 37).

فالشاعر الرومانسي بانفعالاته الداخلية الجياشة، وخياله الجامح، لم يستطع أن يكون مقيداً بنظام القصيدة القديم، فهو محتاج إلى التغيير والتجديد، وهذا التجديد سيكون في القافية والوزن وكذلك المضمون، فهو تجديد يتماهى مع خصائص الشعر الرومانسي.

فالقافية والوزن "القافية أصوات تتكرر في أواخر الأسطر والأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة التواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين مِن مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن" (تبرماسين، 2003: 105).

ولكن الشاعر الرومانسي لم يخضع لقوانين القافية والوزن وغيرها من الأشياء التي من وجهة نظره تجعل الكلمات بلا روح، وكان الأهم عنده التشكيل الموسيقي الذي يخضع قبل كل شيء للحالة والانفعال النفسي الداخلي للشاعر، فالقصيدة بمجملها لدى الرومانسي صورة موسيقية متكاملة، وليست أبيات شعر ضمن قوانين وأنظمة ثابتة تبعث على الملل، فالقصيدة عندهم غناء عذب فيه

موسيقا داخلية تتوافق مع موسيقا خارجية، وتتكاملان لإخراج نوع من الشعر يتميز بالوحدة الفنية التعبيرية التي يسعى إليها الشاعر الرومانسي "وفّر الأدباء لأشعارهم موسيقا عذبة، إذ اهتموا بالموسيقا الداخلية التي تصدر من الصياغة وانسجام اللفظ مع اللفظ، كما اهتموا بالموسيقا الخارجية التي تأتي من الأوزان العروضية حين ينسجم مع المضمون وينساب فيها النغم بطلاقة ورِقّة" (مصدر سابق، نشاوي: 146).

فكسَر الشاعر الرومانسي رتابة عدد التفعيلات وشروطها وقوانين الشطر الشعري الثابتة، وانطلق في شعره نحو وحدة عضوية فنية تعبيرية في القصيدة الشعرية تميّزت بها المدرسة الرومانسية، ولنا في ذلك أن نعطي مثالاً الشاعر اللبناني إيليا أبو ماضي "ولد في قرية المجيدلة في لبنان عام 1889... تلقى دروسه الأولى في مدرسة البلدة" ينظر : (الزركلي، 1979: 35)؛ يقول في قصيدة رومانسية اسمها سلمى:

سلمى.....بماذا تفكرين؟"

سلمى.....بماذا تَحلمين؟

أرأيت أحلام الطفولة تختفي خلف التخوم ؟

أم أبصرَت عيناك أشباح الكهولة في الغيوم؟

أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد

إنما

أظلالها في ناظريك

تنمّ، ياسلمى، عليك

إني أراك كسائح في القفر ضلّ عن الطريق

يرجو صديقاً في الفلاة، وأين في القفر الصديق

يهوى البروق وضوءها، ويخاف تخدعه البروق

بل أنت أعظم حيرة من فارس تحت القتام

لا يستطيع الانتصار

ولا يطيق الانتصار"(الدهان، 2002: 766)

ويتضح جلياً هنا في شكل القصيدة كيف ابتعدت عن الشكل القديم للقصيدة العمودية من حيث المساواة بين الأسطر الشعرية في كل بيت، وكذلك عدد التفعيلات، وانطلق الشاعر نحو وحدة تعبيرية في قصيدته آخذاً في الاعتبار تناسق الألفاظ ورقة الصياغة، فشكّل بذلك موسيقا داخلية، تناغمت مع الموسيقا الخارجية المتأتية من جمالية المعنى وانسياب ورقة النّغَم ، لتنتج لنا صورة فنية هي بحد ذاتها الوحدة العضوية في القصيدة الرومانسية.

3. المبحث الثالث

الغَزَل والنّزعة الرومانسية لدى الشاعرَين ديك الجن الحمصي ونزار قبّاني(دراسة مقارنة)

اخترنا الحديث عن الشاعرين السوريين ديك الجن الحمصي مِن العصر العباسي، ونزار قباني من العصر الحديث، وذلك لِما لهما مِن إضاءات متمّيزة ونادرة في مجال الحب والغزل والمرأة، وكذلك في البكاء على الزوجة بعد مقتل زوجتيهما ، وظهور النزعة الرومانسية في شِعر كلا الشاعرين نتيجة أحداث وظروف مأساوية اشترك فيها الشاعران، وبالرغم من التباعد الزماني بين الشاعرين، إلا أننا نجد بينهما الكثير من العوامل المشتركة والتي دعتنا لاختيارهما في دراستنا هذه، وكان الشاعر الدمشقي نزار قباني قد أطلق على إحدى قصائده اسم قصيدة(ديك الجن الدمشقي) وذلك تيمّناً بديك الجن الحمصي، وشاء القدر أن يَقتلَ ديك الجن الحمصي زوجته التي كان يعشقها بسيفه في مأساة خلّدها التاريخ، وكذلك قُتِلَت زوجة نزار قباني التي كان يعشقها في تفجير السفارة العراقية في بيروت، تلك الأحداث جعلت كلا الشاعرين يبدع أشعاراً في الغزل بنزعة رومانسية تدخُل القلب دون استئذان، وسنخوض في أثناء حديثنا في حياة الشاعرين والظروف التي رافقتهما وصولاً لدراسة الغزل والملامح الرومانسية عند كليهما.

.1.3.. المطلب الأول : الشاعر ديك الجن الحمصي:

سنقوم بدراسة نبذة عن حياة الشاعر ديك الجن وتوجهاته بما يتناسب والعوامل المؤثرة في شعره عامة وغزله خاصة، وكذلك المأساة التاريخية التي حدثت معه وتأثيرها في غزله خاصة.

وبعد أن كان ديك الجن مِن أبرز شعراء عصره رفقة الشاعر الكبير أبي تمام، وأبي نواس، وحتى أنه تفوّق على أبي تمام في بعض الأغراض الشعرية كما سنرى لاحقاً، ولكننا نجد أن الآثار الشعرية لديك الجن لم تأخذ حقّها في الجمع في دواوين شعرية كاملة، ولم يأخذ الشاعر حقه في الدراسات الأدبية وكتب

النقد المختلفة، وذلك مقارنة بالشعراء الذين عاصروه، وكذلك نجد أن مأساة قتله لزوجته والتي خلّدتها كتب الأدب هي الطاغية عند ذكر الشاعر، وسنقوم بمحاولة الكشف عن الأسباب من خلال الخوض في التفاصيل.

.1.1.3.. اسمه وسبب لقب (ديك الجن):

هو شاعر سوري مِن شعراء العصر العباسي"850 – 778 م – عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي المعروف بديك الجن، شاعر مجيد من شعراء العصر العباسي" ينظر: (الزركلي، 2002: 5).

وهذا اللقب الغريب الذي أطلق عليه ارتبط به ارتباطاً جذرياً حتى نُسِي اسمه الحقيقي وأصبح معروفاً بديك الجن الحمصي، ولأسباب هذا اللقب روايات، نذكر منها بشكل مختصر ما جاء في ديوان ديك الجن الحمصي الذي جمع أشعاره مظهر الحجي عام 2004؛ "ذِكرُهُ الديك في شعره...جنونه وتقليده صوت الديك ...إدمانه الخروج إلى البساتين في ظاهر حِمص...كانت عيناه خضراوين، ولذلك سمي ديك الجن" ينظر: (ديوان ديك الجن: الحجي، 2004: 20).

وبالرغم من الاختلاف في هذه الروايات، ولكننا نظن أن الغرابة في هذا اللقب، هي مَن جعلته طاغياً في أذهان الناس حتى يومنا هذا.

.2.1.3.. آثاره الشعرية وضياعها:

مع الأسف، إن أشعار ديك الجن لم تصل إلينا كاملة بشكل مخطوط يحفظها من الضياع والضبط والتشتت، وإنما وصلت بشكل مفرّق، على شكل مقطوعات شعرية أو أبيات مفردة، وحتى أن بعض الأدباء قالوا بأن أشعار ديك الجن قد سُرقت ونُسبت إلى غيره"لم يصل إلينا مخطوط كامل لديوان ديك الجن، وإنما ورد شعره مفرقاً في كتب الأدب والنقد والتراجم، ونحن لا نعثر فيما وصلنا إليه إلا على عدد

قليل من القصائد المتكاملة، وأما ما تبقى فمقطوعات أو أبيات مفردة...ولقد كان شعر ديك الجن مِن أهم المواطِن التي سَطا عليها المتنبي" ينظر: (المصدر نفسه، 7).

ولعلنا في سياق التقدم في حديثنا عن الشاعر ديك الجن، ستتوضح لدينا الأسباب التي كانت مِن المحتمل السبب في عدم وصول الآثار الشعرية لديك الجن كاملة إلينا.

3.1.3. رأي بعض الأدباء والمؤرخين القدامى بشِعر ديك الجن:

نظراً للمكانة الكبيرة التي وصل إليها الشاعر ديك الجن في بعض أغراضه الشعرية في عصره ، فقد ذكره أهم الأدباء و المؤرخين القريبين من ذلك العصر، وقد أشاد الأدباء حينها بشعر البكاء على الزوجة والذي أجاد فيه ديك الجن فمَزج بين الغزل و البكاء لتكون النتيجة شعراً في غاية الروعة، وللمفارقة العجيبة فإننا في عصرنا الحالي لم نرَ تتويجاً لأعماله الشعرية في كتب النقد أو في مخطوطات جمَعها بعض المحققين وذلك بالمقارنة مع أعمال أبي تمام وأبي نواس أو البحتري على سبيل المثال، وسنختصر بعض تلك الآراء وذلك كما جاء في كتاب ديوان ديك الجن الحمصي والذي جُمِعَت فيه بعض الأبيات الشعرية المتفرقة وكذلك المقاطع، وقَلّما نجد فيه قصيدة كاملة، وهذا الكتاب للأستاذين الحمصيين عبد المعين الملوحي و محي الدين درويش عام 1960م؛ "روى صاحب الأغاني : إن ديك الجن شاعر مُجيد يذهب مذهب أبي تمام والشاميّين في شعره، وقال ابن خلكان: وكان ديك الجن يتشيّع تشيّعاً حسناً وله مراث في الحسين رضي الله عنه وشعره في غاية الجودة، وقال ابن رشيق في العمدة: وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء، ومثله عبد السلام بن رغبان ديك الجن، وهو أشهر في هذا من حبيب وله فيه طريق انفرد به" (ديوان ديك الجن: ملوحي ودرويش، 1960: 10).

ولعلّ هنا ابن رشيق القيرواني يتكلم عن الطريق الذي انفرد بها ديك الجن يعود إلى تحوّل الشعر عند ديك الجن بعد مقتل زوجته على يده، فمزج بين الغزل وبكاء الزوجة المصحوب بالحسرة والندم، غير المصحوب بالثأر والانتقام، فهو العاشق والقاتل معاً.

وفي ذلك يقول شوقي ضيف في كتابه العصر العباسي الأول"فقد ضاع شعره ولم يبق منه إلا أطراف قليلة، وليس مِن شك أن أروع أشعاره ما نظمه في بكاء صاحبته، متفجعاً متحسراً نادماً كما لم يندم أحد، وما زال حتى توفي" (ضيف، 1966: 325).

ومن أجل توضيح هذه المفارقات العجيبة لدى الشاعر ديك الجن، ومن أجل أن نعطيه حقه في الدّراسة، سنتابع الخوض في الظروف التي أحاطت به، وأثّرت عليه بشكل مباشر أو غير مباشر.

4.1.3.. أثَر العامل السياسي والديني في ديك الجن وشعره:

كما عَلِمنا في مبحثنا السابق بأن العصر العباسي كان عصر ازدهار ونبوغ أعلام في الأدب والشعر، والصراعات الذي سبقت ذلك العصر أدت إلى حدوث صراعات وانقسامات، والشاعر كغيره من أفراد مجتمعه يمكن أن يناصر طرفاً دون آخر أو أن يتخذ موقف الحياد، ولكن ديك الجن الحمصي كان قد اتخذ موقف المساندة بلسانه وشعره لطرف المعارضة في ذلك الوقت، ولم يُخفِ هذا الشيء، وشعره يدل على ذلك، فقد كان مناصراً لآل البيت، في وقت كانت السلطة الحاكمة ممثلة ببني العباس "تيار السلطة الحاكمة الممثل ببني العباس، والثاني تيار المعارضة الذي تشعب إلى تيارات متعددة، وكان تيار الشيعة المناصرين لآل البيت العلوي الهاشمي وحقهم في الخلافة أشد بروزاً، وكان ديك الجن متشيعاً متشدداً لآل البيت" (الديوان: الحجي، مصدر سابق: 29).

ولعلّنا إن أردنا أن نفهم طبيعة الصراعات أكثر فأكثر، وامتدادها إلى عصرنا هذا، فإننا نورد الكلام التالي والذي جاء على لسان محققي كتاب ديوان ديك الجن وهما الدكتور أحمد مطلوب و عبد

الله الجبوري عام 1964م ، حيث قالا كلمات مهمة في شأن ديوان ديك الجن الذي تم تحقيقه قبل أربع سنوات من تحقيقهما وذلك مِن قِبَل عبد المعين الملوحي ومحي الدين الدرويش "لم يصل إلينا شعر ديك الجن مجموعاً في ديوان، ولم يُشر أحد إلى أن له ديواناً صنعه صانع في حياته أو بعدها...وقد توفّر الأستاذان الفاضلان عبد المعين الملوحي ومحي الدين الدرويش الحمصيان في أيامنا هذه على جمع شعره...بيد أننا لنا مؤاخذات قليلة عليها...ولم يَذكرا قصائد الشاعر في آل البيت وهي ثمان" (ديوان ديك الجن: مطلوب و جبوري، 1964: 18-19).

وهذا الكلام الذي بين محققي الطبعتين المتتاليتين في عصرنا الحديث في شأن إهمال أنواع معينة مِن شعر ديك الجن الحمصي، يجعلنا ندرك طبيعة وأثر تلك التجاذبات التي من شأنها أن تكون سبباً من أسباب ضياع الأعمال الأدبية.

.5.1.3.. أبرز الأغراض الشعرية لديك الجن الحمصي:

تنوعت الأغراض الشعرية في ديوان الشاعر، ولعل أبرز ما يلفت النظر أن الأشعار في دواوينه التي جُمِعت هي أبيات مفردة أو مقاطع شعرية قصيرة تُشعِرنا بأنها مأخوذة مِن قصيدة أم، وقد كانت بين رثاء ومدح ووصف للخمرة، وغزل بأنواعه، وغيرها من الأغراض الأخرى.

وإننا نلاحظ من خلال مدح ديك الجن ووصف الآخرين بالصفات الجيدة والإعلاء من شأنهم، لم يكن هذا موجها بالدرجة الأولى إلى القصور وحكامها والطبقة الحاكمة كي يتكسّب من وراء أشعاره كغيره من شعراء ذلك العصر، بل كان مدحه موجهاً للمعارضة وآل البيت فقد ناصرهم بشعره علانية.

نستطيع أن نقسم الغزل عند ديك الجن إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: قبل حبيبته ورد التي تزوجها وقتلها بيده.

والمرحلة ثانية: ما بعد تعرفه على ورد وقتلها: وذلك لأن أشعار الغزل في المرحلتين السابقتين قد تأثرت بشكل كبير بما جرى للشاعر مِن حدث تاريخي قد سجلَته كتب الأدب، وسنُفرِد للمرحلة الثانية مِن (غزل الزوجة والحزن عليها) مَطلباً كاملاً في بحثنا.

.1.5.1.3..الرثاء: ففي رثائه لأهل البيت يقول:

"يا عين في كربلا مقابر قد

تركن قلبي مقابر الكُرب

نفسي فداء لكم ومن لكم

نفسي وأمي وأسرتي وأبي"(المصدر نفسه، 61)

هنا يصف ديك الجن شدة تأثره بموقعة كربلاء وتلك المقابر التي فيها أناس هو على استعداد بأن يفديهم بكل ما يملك.

.2.5.1.3..المدح: جاء في مدحه لآل البيت ومحبتهم:

"لا تبعدوا يا بني النبي على

أنْ قد بعدتُم والدهر ذو نُوب

يا صفوة الله في خلائقه

وأكرم الأعجَمَين والعرب"(المصدر نفسه، 33)

فهنا الشاعر من خلال مدحه لآل البيت يجعلهم صفوة الناس وأحسنهم، وهم في نظره أفضل وأكرم مَن خَلَقَ الله.

.3.5.1.3..الغزل قبل مرحلة الزوجة:

سنكتفي في هذا المطلب بالتحدث عن الغزل في المرحلة الأولى فقط، والذي تميز به ديك الجن وقد كان ذلك في المرحلة التي سبقت عشقة لحبيبته وزوجته ورد ومأساة قتلها، وسنستفيض بالشرح عن الفترة الثانية التي تتميز بملامح غزلية رومانسية مشحونة بعواطف إنسانية حارة مع الحسرة والندم على قتله لحبيبته في مطلبنا القادم.

تميزت المرحلة الأولى بالغزل الصريح الفاحش في معظم أوقاته، وقد اختلط هذا بوصف الخمرة أيضاً، ولم يفرق ديك الجن في غزله بين مذكر ومؤنث، حتى وصل إلى درجة أنه في عشقه ولذاته قد يهوى المؤنث والمذكر وكذلك الحيوان أيضاً؛ يقول في أثناء حديثه عن ذلك:

"أعشق المردَ والنكاريش والشيب

وعندي مثل البنين البنات

حد ما يُشتهى ويُعشق عندي

حيوان تحل فيه الحياة"(الديوان: ملوحي ودرويش: مصدر سابق: 118)

فالشاعر يعشق المذكر من الرجال سواء بدون لحية(المرد) أو بلحية(النكاريش)، ولا فرق عنده في العشق والملذات بين الذكور والإناث أو حتى الحيوان، وفي أثناء غزله بغلام بكر نجده يمزج الغزل بلذة الخمرة، فلشدة جمال ذلك الفتى وسحره، فكأن ريقه خمرة لذيذة في نظر ديك الجن، وهو كالقمر في روعة منظره.

"دع البدر فليغرب فأنتَ لنا بدر

إذا ما تجلى مِن محاسنك الفجر

إذا ما انقضى سحر الذين ببابل

فطرفكَ لي سحر وريقك لي خمر"

(المصدر نفسه،47)

وقال في غزله بالمرأة ووصف محاسنها الجسدية:

"لا ومكان الصليب في النحر منك

ومجرى الزنار في الخصر

وأقحوان بِفِيك منتظم

على شبيه مِن رائق الخمر"(المصدر نفسه، 48)

فيصف تلك المرأة الجميلة بجمال عنقها وخصرها وكذلك جمال أسنانها المنتظمة في فَمِها، وكأن منظرها بسحره وجماله يشبه منظر الخمرة في صورتها الجميلة.

فنستطيع أن نعرّف هذه المرحلة من غزل ديك الجن بأنها تطغى عليها الملذات الجسدية، والألفاظ الفاحشة، والشذوذ أيضاً بعشقه للمذكر، والحيوان أيضاً، فيرى ملذاته في كل هذا، ولكن الغزل عند ديك الجن بعد تعرفه على حبيبته ورد التي تزوجها ثم قتلها، سيكون غزلاً من نوع آخر، ولهذا لابد لنا أن نمرّ بتلك المأساة التي جَرَت وغيّرَت مجرى الأحداث.

.6.1.3.. قَتلُ ديك الجن لزوجته وبداية المأساة:

كان لقتل ديك الجن لزوجته أثر كبير في حياته وشخصيته وكذلك أشعاره الغزلية، فقد كانت المأساة سبباً في أن يبدع ديك الجن أجمل أبيات شعرية في حب الزوجة والندم والحسرة على مقتلها، فمزج في تلك الأبيات بين العاطفة الصادقة والتجربة الذاتية ودمجها بمشاعر إنسانية حارّة لتنتج أجمل كلمات شعرية رومانسية الملامح تدخل القلب مِن شدة أثرها في النفس البشرية.

وتلك المأساة قد خلدتها كتب بعض المؤرخين، وكانت ملهماً لبعض الشعراء في كتاباتهم الشعرية المتعلقة بتلك الحادثة، وتتلخص تلك المأساة بأن ديك الجن قد أحبّ جارية نصرانية وتعلق بها تعلقاً

شديداً، فدعاها إلى الإسلام، وبعد أن أسلمت تزوج بها، في يوم من الأيام خرج ديك الجن إلى مدينة قريبة من حمص اسمها سَلمية، وأقام عند قريب له مدة طويلة من الزمن، وفي هذه الأثناء كان لديك الجن ابن عم له يكرهه، فدبّر ابن عم ديك الجن خدعة ومكيدة للشاعر، حيث قال بأن زوجة ديك الجن تخونه مع غلام، وبدأ ينشر هذا الكلام، ولما وصل الخبر لديك الجن رجع إلى حمص ليتأكد بنفسه من الكلام، ولكن ابن عمه كان قد أحكَمَ الخدعة، واتفق مع الغلام على كل شيء من أجل أن يخدع ديك الجن عند وصوله لبيته وسؤال زوجته عن الأمر، وكانت نتيجة ذلك أن ديك الجن قتل زوجته بسيفه، ومع مرور الأيام اكتشف ديك الجن أن هذه كانت خدعة ومكيدة من ابن عمه، فندم طوال حياته، وكانت نتيجة ذلك أن أبدع أجمل أنواع من الشعر الذي يخرج من القلب فيدخل القلب دون استئذان مِن شدة صدقه وعاطفته الجيّاشة المليئة بأسمى معاني الحب.

وقد ذكر أبو فرج الأصفهاني تلك المأساة في كتابة الأغاني "كان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص، هويها وتمادى به الأمر حتى غلَبَت عليه وذهبَت به، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها فأجابته...وكان اسمها ورداً...وكان قد أعسر واختلّت حاله، فرحل إلى سلمية قاصداً لأحمد بن علي الهاشمي، فأقام عنده مدة طويلة"(الأصفهاني، 1952: 55).

ويتابع أبو الفرج في تلك القصة بذكر تفاصيل عنها "وحمل ابن عمه بغضه إياه بعد مودته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له...أذاعَ على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له"(المصدر نفسه، 56).

وهنا نرى أن ابن عم ديك الجن قد أوقع الشك في نفس الشاعر تجاه زوجته، فرجع إلى مدينة حمص ليتأكد، ولكن ابن عمه كان قد دبّر المكيدة من جوانبها كافة، فاتفق مع الغلام بأن ينتظر عند بيت ديك الجن عند وصوله لتكتمل تفاصيل الخدعة ويصدّقها ديك الجن"ودسّ الرجل الذي رماها به

وقال له إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فَقِف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، ونادِ باسم ورد، وإذا قال مَن أنت؟ فقل أنا فلان، فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها، فأجابت جواب مَن لا يعرف من القصة شيئاً"(المصدر نفسه،57).

صحيح أن الزوجة أنكرت معرفتها بالقصة وهي صادقة، ولكن ابن عم الشاعر كان ذكياً في ربطه للأحداث من خلال اتفاقه مع الغلام"فيما هو في ذلك قَرع الرجل الباب، فقال مَن هذا؟ فقال: أنا فلان، فقال لها عبد السلام: يا زانية زعمتِ أنك لا تعرفين مِن هذا شيئاً، ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها"(المصدر نفسه، 58).

ومع مرور الأيام اكتشف ديك الجن أن تلك القصة كانت افتراء ومكيدة من ابن عمه"وبلغه الخبر على حقيقته، واستيقنه فندم، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه"(المصدر نفسه، 57).

7.1.3.. الغربة الرّوحيّة عند ديك الجن الحمصي:

لقد تأثر ديك الجن تأثراً كبيراً بالأحداث التي رافقت مسيرة حياته، والسلبيات التي كانت نتيجة تلك الأحداث قد أثرت على نفسيته وروحه قبل أن تؤثر على جسده، فقد كان ديك الجن كما ذكرنا سابقاً مناصراً لتيار المعارضة في البلاد، وكان يشعر بأنه مطارد، وذلك بسبب مناصرته العلنية بلسانه قبل يده، فكان الخوف من السلطة الحاكمة ملازماً له في كل حين، فما كان من ديك الجن إلا أن اختار لنفسه ملجأ اختيارياً ابتعد به عن الأعين، فقد كان ذلك الملجأ مكاناً مناسباً للهو والمجون وشرب الخمرة والانغماس في الملذات التي كان يتمتع بها ديك الجن"ثم انتهى إلى منفاه الاختياري خارج مدينة حمص في بساتين نهر العاصي وغياضه، منغمساً بلذاته بعيداً عن عيون مطارديه" (الديوان: الحجي: 47).

ولكن هذا لم يكن كل شيء، فالمأساة التي حصلت معه بقتله لحبيبته وزوجته زادت من غربته النفسية وكانت نقطة تحول كبيرة في التفات الشاعر نحو النزعة الذاتية والشعور العاطفي الصادق النابع من تجربة ذاتية مشحونة بعواطف إنسانية حارة نحو حبيبة كان يعشقها، فولّد ذلك نوعاً من الشعر فيه مِن ملامح الرومانسية الشيء الكثير"ولئن لم يغادر بلاد الشام جسداً، فإنه لم يعش فيها روحاً، لأن هذا الصراع الممزق جعله يعيش في غربة نفسية دائمة، لقد عاش ديك الجن مع أهله غريباً مطارداً، وقضى نحبه بينهم غريباً مُفرَداً" (المصدر نفسه، 48).

إن هذه التناقضات التي عاشها ديك الجن ابتداء من معارضته السياسية وانتهاء بحادثة قتله لحبيبته وندمه الشديد على فعلته تلك، كل هذا جعل الشاعر يعيش غربة روحية بكل معنى الكلمة، وإن أجمل وأصدق أنواع الشعر الذي قرأناه له، هو ذلك الشعر الذي خرج من قلبه صادقاً تجاه حبيبته وزوجته، ومزج هذا الشعر بكل معاني الحب والألم والندم والرغبة في الموت لرؤية المحبوبة، فأبدع بذلك أجمل شعر بملامح رومانسية غاية في الجمال.

.2.3.. المطلب الثاني: مَلامِح الرومانسية في الحب وبكاء الزوجة عند ديك الجن:

صحيح أن الرومانسية كمذهب نظري ظهرت في العصر الحديث، ولكن ملامح الرومانسية في الحب كانت موجودة في الشعر العربي منذ القديم، وكان بعض الشعراء يستهلّون قصائدهم بالوقوف على أطلال المحبوبة والتغزل بها في بداية القصيدة، ويطلقون العنان لأشواقهم وتذكر المحبوبة وألم الفراق، وذلك قبل أن يصل الشاعر إلى الغرض الرئيسي من القصيدة.

وقد رأينا أن ديك الجن الحمصي قد تنوعت عنده أشعار الغزل، وكان قبل عشقه لزوجته ورد يُكثِر من الغزل الصريح الفاحش المتعلق بالملذات الجسدية في غالبه، ولكن مرحلة حبة لورد وزواجها بها، وكذلك ندمه على قتلها ظلماً، وعدم قدرته على نسيانها حتى مَماته، كل ذلك جعل ديك الجن يبدع

شعراً فيه ملامح رومانسية تخرج مِن قلب الشاعر، ممزوجة بالألم والحسرة والعاطفة الإنسانية الحارّة الصّادقة، النابعة من تجربة ذاتية، المؤثرة في النفس البشرية.

.1.2.3.. مَلمح مُتَلازِمة الحبّ والموت:

الشاعر الرومانسي يرى في أشعاره انعكاساً للحياة التي يعيشها، فشعره يعبر عن حالته المشتتة وأزماته النفسية، وقد أجاد ديك الجن في التعبير عن حالته بشعر مليء بالعاطفة الصادقة وألم الفراق الذي يتمتع به الرومانسي الذي يعاني الحب وآلامه، وديك الجن كانت فكرة الموت تسيطر على أحاسيسه ومشاعره، وذلك لعدم تحمله فراق زوجته التي كان يحبها حباً جمّاً، وكانت مصدر سعادته، وإن درجة الحب الكبيرة تلك، قد جعلت ديك الجن ينسى أو يتناسى شعور الخوف من الموت، فبِفراق الحبيبة تصبح الحياة والموت عنده سواء، بل إنه يتمنى الموت كي يصل إلى محبوبته أو يصبح شهيد حبها، فديك الجن يتخيل روح محبوبته تزوره في كل لحظة من لحظات نومه، فارتبط الموت بالحب عند ديك الجن ارتباطاً عجيباً، وذلك بأن الحب الذي أنتج الغيرة الشديدة هو الذي دعاه كي يقتل زوجته، وكذلك الحب هو الذي يدعو ديك الجن للتفكير بقرب موته، فعاش ديك الجن متلازمة الحب والموت بصورة فريدة قلّ نظيرها، وتلك الأشعار الجميلة التي أنشدها ديك الجن ما تزال عالقة في أذهان المحبين، وهنا يخاطب جسد محبوبته الذي وضِع تحت الثرى، فهو لا يتحمّل الفراق وألمه، ولهيب الشوق يحرقه

"أجبني إن قدرت على جوابي

بحق الودّ كيف ظللت بعدي

وأين حَلَلت بعد حلول قلبي

وأحشائي وأضلاعي وكبدي

وجدّ تنفّسي وعلا زفيري

وفاضت عبرتي في صحن خدي

إذن لعلمت أني عن قريب

ستحفر حفرتي ويشقّ لحدي"(الديوان: ملوحي ودرويش، مصدر سابق: 28)

فديك الجن يبني حواراً مع زوجته علّه يخفف من لوعته وشوقه وأحزانه، ويسألها مستغرباً كيف استطاعت أن تبتعد عنه، فلو كانت تدري مدى الشوق والحنين والألم الذي يعانيه عندما يكون وحيداً، ولهيب الشوق يكاد يفتك بجسده، لو كانت تعلم هذا، إذن سوف تعلم أيضاً بأنه سيلحق بها عن قريب، فالموت سيكون وسيلة لإطفاء نار الشوق، فالموت والحب تجلّى بأروع صوره عند ديك الجن.

.2.2.3.. مَلمح الألم والنّدم:

إن الألم على فراق المحبوبة شيء طبيعي في النفس البشرية، فكيف إن كانت تلك المحبوبة هي الزوجة التي قتلها ديك الجن بيده وبعد أن قتلها اكتشف أنه ظلمها!نعم، إن ديك الجن ندم ندماً شديداً، وتألم على فراق محبوبته طوال عمره، وكانت تلك المأساة سبباً لدخول ديك الجن في حالة نفسية سيئة، وحزن عميق وألم دام، لم يستطع التخلص منه، فكان يسعى جاهداً من خلال أشعاره تذكر محبوبته ويتخيل أنها موجودة ولكن تلك الذكريات كانت تنعكس ألماً ودموعاً تجري على الخدود، وديك الجن كان يرى في ذرف الدموع والبكاء على محبوبته وسيلة من وسائل الراحة النفسية، وكما رأينا سابقاً أن شوقي ضيف في كتابه العصر العباسي الأول كان قد ذكر أن أروع أشعار نظمها ديك الجن كانت في محبوبته التي ندم كما لم يندم أحد على فراقها حتى وفاته،وفي هذا ينشد ديك الجن كلمات غاية في الروعة:

"دعوا مقلتي تبكي لِفقد حبيبها

لِتطفئ برد الدمع حرّ لهيبها

ففي حلّ خيط الدمع للقلب راحة

فطوبى لنفس مُتّعَت بحبيبها"(الديوان: الحجي، مصدر سابق: 258)

فهنا يطلب الشاعر أن يتركوه يبكي ويبكي على محبوبته، ففراقها لهيب حارق، ولعلّ الدموع تبرد ذلك الحر.

وإن الألم والندم عند ديك الجن، ليس لهما مثيل، فهو العاشق الولهان، وهو القاتل للمحبوبة، وهو النادم لظلمها، وإن هذا قد ترك على الشاعر آثاراً نفسية لا تمحى، وقد ظهر ذلك في التغيّر المفصلي لشعر ديك الجن بعد فراقه لمحبوبته، فكان في غالبه يحمل معاني الحب الرومانسي المليء بالحسرة والألم والندم على حبيب فُقِد.

3.2.3. مَلمح الاستئناس بالطبيعة:

كان ديك الجن يلتجئ إلى البساتين المحيطة بمدينة حمص بِنَهرها الجميل، ومناظرها الخلابة، وكان يهرب إلى الطبيعة لعدة أسباب قد ذكرناها في أثناء بحثنا، فكانت الطبيعة ملاذاً وصديقاً لديك الجن، وهي المكان الأنسب للبوح بالمشاعر الحزينة والذكريات والشوق والحنين، فالمشاعر الإنسانية الصادقة التي كان يختزنها ديك الجن في صدره تجاه زوجته، كانت تمتزج بجمال الطبيعة وسحرها، فتنتج شعراً في غاية الجمال والروعة:

"أقول لها والليل مُلق سدوله

وغصن الهوى غضّ الشباب رطيب

لأنتِ المنى يا زين مَن وطئ الحصى

وأنتِ الهوى أُدعى له فأجيب

لها القمر الساري شقيق وإنها

لتطلع أحياناً له فيغيب"(الديوان: الحجي، 72)

هنا عندما يتذكر الشاعر محبوبته فإنه يستخدم كلمات يستوحيها من الطبيعة، فالليل الذي يرمز دائماً إلى السكينة والهدوء، وما أحوج ديك الجن إلى تلك السكينة بعد الذي أصابه، وكذلك استخدامه للغصن الرطيب الذي يدل على الجمال والألَق، فمحبوبته أجمل مَن خلق الله على هذه الأرض، ومِن شدة جمالها فإن القمر يخجل مِن طلوعها فَيغيب.

لقد أجاد شاعرنا في استخدام الطبيعة، وكانت الطبيعة عاملاً من عوامل تفريغ تلك العواطف الجياشة والألم المعتصر في صدر الشاعر، وجمال الطبيعة يزيد مِن جمال الكلمات الرقيقة لتولّد نوعاً من الشعر الرومانسي المحرّك للمشاعر الإنسانية.

.4.2.3.. مَلمح النّزعة الذاتية والحوار القصصي:

يعبّر ديك الجن في شعره تجاه محبوبته عن عواطفه وانفعالاته الذاتية، فتختلج في صدره الكثير من مشاعر الحب ولوعة الفراق، فطَيف محبوبته لا يكاد يفارقه في يقظته ونومه، فكان شعره تعبيراً عن ذاته الداخلية بكل ما فيها مِن معاناة تُثقِل كاهله، فيجد نفسه محتاجاً لتفريغ تلك الأحاسيس بقالب شعري قد يجعله في بعض الأحيان حواراً قصصياً يدور بين الشاعر ومحبوبته التي لا تفارق مخيلته:

"جاءت تزور فراشي بعدما قبرت

فظَلَلتُ ألثم نحراً زانَهُ الجِيد

وقلتُ: قُرّة عيني قد بُعثتِ لنا

بكيف ذا وطريق القبر مسدود

قالت: هناك عظامي فيه مُودَعة

تعيث فيها بنات الأرض والدود

وهذي الروح قد جاءتك زائرة

هذي زيارة مَن في القبر ملحود"(الديوان: الحجي، 114)

يتضح هنا جمال ذلك الحوار القصصي الذي ابتدعه الشاعر بينه وبين زوجته ورد التي قتلها بيده ولكن حبها مازال يسكن قلبه، فزيارة محبوبته كانت بمثابة السكينة المؤقتة للشاعر، فهي قرّة عينه، فأدى ذلك الحوار مبتغاه في الجنوح إلى الخيال، والعاطفة المشتعلة شوقاً، وحب لا ينطفئ مهما مرّت الأيام والسنين.

من خلال تلك الملامح التي تم ذكرها في شعر ديك الجن وحبه لزوجته والبكاء عليها، علِمنا كم كان لقتله زوجته والندم على ذلك مِن أثر كبير على شخصية الشاعر وشعره، فانتقل في شعره الغزلي من الغزل الصريح الماجن الباحث في الدرجة الأولى عن الملذات الجسدية، إلى الشعر المليء بملامح رومانسية في العاطفة الصادقة، والمشاعر الإنسانية الحارّة، مكتفياً بحبيبة واحدة لا ينساها مهما طال الزمان، متغزلاً بها، مُستجلِباً روحها وذكرياتها، محاوراً إياها في مُخيّلته، فأضفى على شعره أروع آيات الجمال والتعبير الصادق.

3.3. المطلب الثالث: الشاعر نِزار قَبّاني:

بعد أن تكلمنا عن ديك الجن الحمصي ومأساته في قتله لزوجته، وأثر ذلك في غزله، وكيف أصبحت تلك المأساة النادرة حَدَثاً سجّلَته كتب الأدب، لم نجد أفضل مِن أن نختار مِن عصرنا الحديث الشاعر نزار قبّاني، والذي يُعتَبَر مِن أشهر الشعراء في حُب وغزل المرأة، والذي يشترك مع ديك الجن الحمصي بمأساة قتل الزوجة، ونزار قباني مِن الشعراء النادرين الذين استلهموا مِن قصة ديك الجن الحمصي في أشعاره، فَأطلَقَ نزار على إحدى قصائده اسم (قصيدة ديك الجن الدمشقي)، وغير ذلك من العوامل المشتركة بينهما والتي سنخوض في تفاصيلها.

.1.3.3.. نبذة ان حياة نزار قبّاني:

عندما يُذكَر الحب والعشق، فلابد أن يُذكر الشاعر نزار قباني، هو أشهر شاعر في عصرنا الحديث في مجال حب المرأة والغزل بها، وكلمات قصائده في الحب والغزل تنتشر في العالَم العربي بشكل كبير، فَمِن جمال تلك الكلمات أخذَ بعض المطربين قسماً مِنها وحوّلوها إلى أغنيات جميلة تتردد على شفاه العاشقين، وقد رافقَت مسيرة حياة نزار قباني عوامل أثّرت في شخصيته و شعره، تنوعت تلك العوامل بين سياسية وبيئية، وكذلك عائلية بعد قصة حبه لزوجته ومعاناته حتى استطاع الزواج بها، ثم بعد ذلك مَقتَلها في حادثة تفجير السفارة العراقية ببيروت، فنزار وإن كان مشهوراً بغزل المرأة، لكنه كان يرى في الوطن أجمل حبيبة وعشيقة، فتعلّق بوطنه العربي الكبير، وأفرَدَ له أجمل الأشعار في الحب ورفض الظلم والانكِسار.

وُلد نزار قبّاني في مدينة دمشق عاصمة سورية، وقد رَبَط نزار يوم ولادته بيوم من أيام موسم الربيع الذي يدل على الحب والجمال والأمل"يوم ولدتُ في 21 آذار – 1923 في بيت من بيوت دمشق القديمة، كانت الأرض هي الأخرى في حالة ولادة، وكان الربيع يستعد لفتح حقائبه الخضراء" (قبّاني: قصتي مع الشعر،1970: 25)؛ ثم أكمل تعليمه في المدارس السورية حتى تخرج في قسم الحقوق من الجامعة السورية "ثم أنهيتُ دراستي الثانوية والعالية، وحصلت عام 1945 من الجامعة السورية في دمشق على الليسانس في الحقوق"(المصدر نفسه، 65).

وبعد ذلك بدء العمل في السلك الدبلوماسي والتنقل بين البلدان بحكم عمله، حتى استقال من هذا العمل بِمَحض إرادته، وأسّسَ داراً للنشر في مدينة بيروت اللبنانية "عمِلَ فور تخرجه في السلك الدبلوماسي، والتحق بأول بعثة سياسية للقاهرة...بقي سفيراً لسورية في لندن حتى العام 1955... استقال من عمله بوزارة الخارجية عام 1966 وأسس داراً للنشر في بيروت" (أبو علي، 1998: 9-10).

واستمر نزار في إبداع أجمل أشعار الغزل وحب المرأة والوطن حتى وفاته، حيث تم دفنه في دمشق التي كانت مسقط رأسه وحبيبته الأبدية "رحلَ نزار، إلا أن شعره بقي شاهداً، وذلك بتاريخ 30 نيسان 1997 ودفن بدمشق التي أحبها وأحبته" (الخيّر، 2008: 29).

.2.3.3.. آثار نزار قباني الشعرية:

تنوعت غالبية الآثار الشعرية لنزار قباني بين غرضَي الغزل بالمرأة، وغرض النزعة القومية وحب الوطن، وقد اشتملت كتبه ودواوينه على هذين النوعين من الأغراض الشعرية، وكان ينوع في أشعاره الغزلية، وكذلك يدعو إلى تحرر المرأة، ويدافع عن الوطن، والوطن عند نزار قباني هو القضية العربية بأكملها، وليس مقتصراً على بلد واحد من البلدان "إني أكتب عن المرأة وعن القضية العربية بِحِبر واحد، وأقاتل من أجل تحرير المرأة من رسوبات العصر الجاهلي، كما أقاتل من أجل تحرير الأرض من حوافر الخيول الإسرائيلية" (قباني: الأعمال النثرية، 1999: 425).

وقد ترك نزار قباني بعد رحيله عدداً كبيراً من الدواوين والكتب، وقد تم نشر جميع هذه الكتب قبل رحيله "ترك نزار قباني لعشاق الشعر العربي ونثره حوالي الأربعين كتاباً، نُشرت جميعها وهو على قيد الحياة" (الهواري: 2001؛ 37).

وقد تنوعت جميعها ما بين الحب والغزل والسياسة وحب الوطن ، نذكر من هذه الدواوين على سبيل المثال لا الحصر "قالت لي السمراء 1944 – طفولة نَهد 1948 – سامبا 1949 – أنتِ لي 1950 – قصائد 1956 – حبيبتي 1961 – الرسم بالكلمات 1966 – الأعمال السياسية الكاملة 1967 – 1977 – بلقيس 1982 "(المصدر نفسه، 38).

3.3.3. أثر البيئة والسياسة في شعر نزار قبّاني:

تنقّلَ نزار قباني بين مدن ودول العالم، واختلط بشعوب وحضارات عدة، وقابلَ أنواعاً مختلفة من

نساء العالَم، ولم يكن مُتَقوقِعاً في بيئة جغرافية واحدة بتقاليدها وثقافتها ومجال حرياتها، وهذا قد أعطى للشاعر الخيال والقدرة على الإبداع الشعري في غزل النساء خاصة، ويقول نزار في كتاباته "إن شعر الحب الذي كتبته يغطي مساحة ثلاثين عاماً رَسَت فيها مراكبي على ألوف الموانئ، واصطدمت بآلاف النساء" (قباني: الأعمال النثرية، مصدر سابق: 349).

وقد أكثرَ نزار قباني مِن الغزل الحسي المادي للمرأة، وكان واضحاً تأثير البيئة في ذلك، واتهمه بعض الأدباء بالمبالغة والإفراط في الجانب المادي على حساب الجانب المعنوي في الغزل "الحديث في العصر الذي عاش فيه نزار وسماته المادية وهيمَنة الجوانب الحسية في تصوير الجَمال – خاصة جمال المرأة – على الجوانب المعنوية، قد يبرر اتجاه نزار إلى الغزل الصريح، ولكنه قد لا يبرر له بلوغ الدرجة التي وصل إليها من الفحش" (الورقي، 1983: 384).

وكذلك قد تأثر نزار بالأحداث السياسية التي طرأت، وظهر هذا التأثر جلياً في شعره، وكان لحرب عام 1967 الأثر البالغ في نفسية الشاعر، فوطنه الذي يحبه هو عنده أفضل مِن أجمل عشيقة، وما أصاب الوطن في تلك الحرب مِن خسارة وانكسار، جعله يشعر بالمرارة والألم واتجه بشعره نحو الكتابة في مجال الشعر السياسي الوطني العميق والجريء، والذي يدافع فيه عن الظلم، ويدعو لتحرير الوطن من جميع أشكال العبودية والقهر، وكذلك كان نزار قباني يرفض جميع أنواع العصبية والأحزاب والفئوية والتكتلات أو معارضة وموالاة، فكان انتسابه للوطن عامة، فالوطن عنده هو الإنسان "لم أدخل في أي حزب سياسي، ولم أنتسب لأية رابطة أو جمعية مِن أي نوع...أنتمي لدولة واحدة، هي دولة الإنسان، هذا هو انتمائي الأساسي والوحيد" ينظر :(قباني: النثرية، مصدر سابق: 281).

بدأت هموم الأمة تشغل نزار قباني، وبدأت القصائد السياسية بالظهور، وهذا الانشغال لم يكن سبباً في أن يترك الشاعر الإبداع في الشعر الغزلي، لكن الغزل عنده أصبح أكثر عمقاً، فجَمَع في غزله

المرأة والوطن "بدأت القصيدة السياسية تبشر بتحول نزار بعد نكسة 1967 وتعلن انشغاله بهموم الأمة" (أبو علي: نزار، مصدر سابق: 6).

ولعلّ أجمل ماقاله نزار قباني في شعره الوطني، وجعله يدخل إلى قلب كل إنسان عربي غيور على وطنه، تلك الأبيات التي قالها عن فلسطين والقدس، فالقدس عنده لؤلؤة الأديان، ويجب تحريرها مِن رجز العدوان، فهي بلد الخير والتسامح الديني، وبلد الزيتون والأمان:

"يا قدس يامدينة الأحزان

يا دمعة كبيرة تجول في الأجفان

مَن يوقِف العدوان؟

عليكِ، يا لؤلؤة الأديان

مَن ينقذ الإنجيل

مَن ينقذ الإنسان

يا قدس....يا مدينتي

يا قدس....يا حبيبتي

غداً ...غداً...سيزهر الليمون

وتفرح السنابل الخضراء والغصون

وتضحك العيون

وترجع الحمائم المهاجرة

إلى السقوف الطاهرة

ويرجع الأطفال يلعبون

ويلتقي الآباء والبنون

على رباك الزاهرة

يابلدي....يا بلد السلام والزيتون"

(قباني:السياسية الكاملة،2000: 163)

بالرغم من حزنه على ما آلت إليه حال القدس، إلا أنه متفائل بالنصر، وعودة أصحاب الأرض إلى موطنهم، فالقدس مدينة المحبة والسلام.

.4.3.3.. الغزل وأنواعه عند نزار قباني:

نستطيع أن نميّز نِسبِيّاً بين مرحلتَين في غزل نزار:

- مرحلة الحب والغزل قبل نكسة 1967.
- مرحلة الحب والغزل بعد نكسة 1967.

ففي المرحلة الأولى كانت السّمة البارزة في شعر الغزل عند نزار قباني هي الصورة الحسية المادية، وذلك بالمبالغة في وصف مفاتن جسد المرأة، والكلام الجريء الفاحش، ويظهر ذلك في الدواوين التي نشرها قبل النكسة، ومنها(قالت لي السمراء عام 1944 – طفولة نهد عام 1948 – الرسم بالكلمات عام 1966).

وحتى أن نزار قباني يعترف بنفسه أن أسباب شهرته الأولى "قصيدة نهديك...كانت الشرارة الأولى التي أطلقتني، والمفتاح إلى شهرتي" (قباني: قصتي، مصدر سابق: 101).

"سمراء...صُبّي نَهدَكِ الأسمر في دنيا فمي

نهداك نَبعا لذة حمراء تُشفي لي دمي

مُتمردان على السماء...على القميص المِنعَم

صَنمان عاجيّان...قد ماجا ببَحر مُضرم

نار الهوى في حَلمَتَيكِ أكُولة كجهنم"

(قباني، الأعمال الشعرية الكاملة: 1993: 69)

يتضح من خلال كلمات هذه القصيدة (نهداك ، لذة حمراء، حلمتيك) مدى الجرأة في الكلام والوصف المادي المحسوس لأجزاء من جسد المرأة.

ونزار قباني يتكلم عن شعر الغزل في تلك المرحلة، ويعترف بأنه لن يقدم الاعتذار عن ذلك الغزل "إن كان المقصود من التوبة إنكار شعر الحب الذي كتبتُهُ قبل 5 حزيران 1967، فإنني أعتذر عن تقديم أية تنازلات في هذا الموضوع" (قباني: قصتي، مصدر سابق: 264).

ونزار يرى في هذه النوعية من الغزل بأنها ليست إثارة للغرائز الجنسية، بل هو صريح وواضح في غزله وقول الحقيقة، وليس كما يفعل غيره، فهو يعبّر عما يجول في فكر وخاطِره مِن حب وغزل أمام الناس "إني لا أحترف الإثارة، ولكني أرمي أوراقي على الطاولة بشجاعة، وألعب بكل رصيدي، أنا رجل يرفض أن يلعب لعبة الحب خلف الكواليس، لذلك نقلت سريري إلى الهواء الطلق" (قباني: النثرية، مصدر سابق: 469).

- أما في المرحلة الثانية بعد نكسة 1967:

اختلط في هذه المرحلة شعر الحب والغزل عند نزار بهموم وطنه، وابتعدَت أشعاره نوعاً ما وبشكل نسبيّ عن الجرأة والوصف المادي، واتجهت نحو الغزل المعنوي الذي يمسّ الروح الداخلية والوجدان أكثر من تركيزه على الجسد والمفاتن، فقد أصدر نزار بعد النكسة عدة دواوين من بينها(كتاب الحب 1970، إلى بيروت الأنثى 1978، بلقيس 1982).

"علّمَني حبك....أن أحزن

وأنا محتاج منذ عصور

لامرأة تجعلني أحزن

لامرأة أبكي فوق ذراعيها

مثل العصفور

لامرأة تجمع أجزائي

كشظايا البلور المكسور"(قباني: الشعرية، مصدر سابق: 701)

ونحن في هذا الصدد لا ندّعي القول بأن نزار قد تحول تحولاً جَذرياً بشعره من الغزل الصريح الماجن إلى الغزل العفيف، ولكن الأزمات التي عاشها ابتداء من هموم بلده ووطنه، ومروراً بمأساته في قصة حبه لزوجته، وبعد ذلك مقتلها في تفجير غيّر مسار حياته بشكل كبير، فقد خسِر نزار بفراق زوجته كل شيء، كل هذه الأشياء جعلت كفّة ميزان الغزل العذري عند نزار هي الراجحة.

.5.3.3.. مأساة نزار قباني بِمَقتل زوجته بَلقيس:

نزار شاعر مُرهَف الحس، وعندما تعرّف على بلقيس أحبّها حبّاً جَمّاً، وتقدّم لخطبتها، ولكن عائلة بلقيس لم توافق على الخطبة، فقد كانت بلقيس من عائلة كبيرة ومعروفة في العراق، ولم تقبل تلك العائلة أن تزوج ابنتها لشاعر كل كلامه عن النساء، ولكن حبّ نزار لبلقيس لم يَنضُب مع مرور الأيام، وطوال سبع سنين لم يفقد الأمل، واستمر في محاولاته إلى أن تمّ الزواج، وعاش مع بلقيس أجمل أيام حياته.

ولكن الأحداث السياسية التي كانت تخيّم على البلاد، وما يرافقها مِن آثار سلبية، ألقَت بِظِلالها على نزار وحياته بأكملها، فقد قُتِلَت زوجته في مكان عملها في حادث تفجير السفارة العراقية في لبنان، وقد ألّفَ صديق نزار قباني الدكتور حسام الخطيب كتاباً عن نزار أسماه(أمير الحرية وفارس العشق) والكتاب يحتوي على مراسلات خاصة بينه وبين صديقه نزار قباني مكتوبة بخط اليد، فيشرح لنا قصة

حب و مقتل بلقيس "تقدّم نزار لخطبة بلقيس عام 1962، لكن أسرتها رفضت لما كانت تسمع عن نزار من أنه شاعر النساء والغزل والحب...ظلّ يرافقها بإصرار شديد مدة سبع سنين...وعاود الكرّة عام 1969 وكانت الموافقة، تزوجا ليعيشا في بيروت، ورزقا بطفلين زينب وعمر، ونعمَ نزار معها بِحب لا تشوبه ولا تعكّر صفوَه الأيام" (الخطيب، 2014: 33).

ولكن هذا الحب العميق والاستقرار العائلي مالبث أن انتهى وبشكل مُفجِع"حتى جاء اليوم المشؤوم الذي فَقَدَ فيه نزار كل شيء، فقد قتلت بلقيس عام 1981 في حادث انفجار السفارة العراقية في بيروت حيث كانت تعمل" (المصدر نفسه)

وهنا رأينا أن الدكتور حسام صديق نزار يستخدم عبارة (فَقَدَ نزار كل شيء) وهذا يدل على مدى تأثير تلك الحادثة على حياة نزار، فقَبل مقتل بلقيس، لم يكن مثل بعد مقتلها "وبكى بمرارة زوجته التي سَقَّته مِن حنانها 12 عاماً، نعمَ فيها بالراحة والسكينة، وصار يجمع ولَدَيه زينب وعمر ويغلق بابه منذ المغرب بعيداً عن الناس ليسبح بخياله لعلّه يقابِل طيف بلقيس" (المصدر نفسه).

إن نزار قباني عندما بدأ يسرح بخياله ويستحضِر طيف محبوبته، ويجعلها محاوِرَة له في تفاصيل الحياة اليومية، يجعلنا نستشعر أجمل ملامح الرومانسية في شعر الغزل الذي قاله نزار قباني، فقد كان لحبيبته وزوجته الأثر الكبير في ذلك، وكانت النتيجة أجمل أشعار قالها نزار في حياته، وفيها أروع ملامح الرومانسية، مِن حب صادق، ونزعة ذاتية، وحزن وألم، وعاطفة متأججة، وخيال واسع، والتمازج بالطبيعة، واستحضار للحبيبة وكأنها حاضرة في تفاصيل الحياة اليومية، وإكثار من الرمز الذي استخدمه بشكل مميز وأضفى على القصيدة سحراً وجمالاً بما يحتويه من سخط وغضب داخلي مِن قَتَلَة زوجته، ومن الحال المزرية التي وصل إليها حال العرب، وكان واضحاً في تلك الأشعار الخروج عن نمط القصيدة

التقليدي القديم، وهذا المطلب كان من مطالب الشعر الرومانسي والحديث، ليعطي القصيدة أقصى درجات الانفعال والخيال، دون الالتزام بقوانين الشعر الذي قد يقيّد الشاعر وشعره.

.6.3.3.. استِحضار نزار قباني لِديك الجن والمفارَقة العجيبة:

يبدو جَليّاً تأثّر نزار قباني بِقصة مقتل زوجة ديك الجن الحمصي والأبيات الشعرية التي كتبها ديك الجن لزوجته ورد، فقد اِستَلهَم نزار من تلك القصة والأشعار التي قالها ديك الجن، ونَسَجَ نزار قصيدة شعرية تتماهى مع تلك القصة، وقد أطلقَ على تلك القصيدة اسم (ديك الجن الدمَشقي).

ويُشير نزار في تلك القصيدة إلى أن مقتل ورد زوجة ديك الجن الحمصي، كان بمثابة مقتل ديك الجن نفسه، وذلك لشدة الأثر النفسي عليه، فوضّح نزار في تلك الأبيات أن ديك الجن كان يرى محبوبته في كل تفاصيل حياته، وكانت لا تفارقه، وألم فراقها ستكون نتيجته فناء الشاعر، فحياته دون محبوبته لا تستحق أن تستمر.

ولكن المفارقة العجيبة: هي في أن نزار قباني كتب قصيدة ديك الجن الدمشقي عام 1966، وبعد حوالي خمسة عشر عاماً تُقتَلُ زوجة وحبيبة نزار قباني 1981، ويدخل نزار في حالة نفسية مشابهة تماماً لما كتبه في قصيدة ديك الجن الدمشقي قبل خمسة عشر عاماً بجميع تفاصيلها؛ يقول نزار قباني في قصيدته: ديك الجن الدمشقي

"إني قتلتكِ واِسترحت

ومِن دمك اغتسَلت

هربتُ منكِ ...وراعَني

أني إليكِ.....أنا هربت

في كل زاوية....أراكِ

في الطيب، في غيم السجائر

في الشراب إذا شربت

حسناء.....لم أقتلكِ أنتِ

وإنما نَفسِي.....قَتَلت"

(قباني، الشعرية، مصدر سابق: 549)

هذا الاستِحضار العجيب مِن قِبَل نزار قباني لديك الجن الحمصي بتلك التفاصيل، وبعد سنوات يحصل لنزار ماحصل مع ديك الجن بالتفاصيل نفسِها، هو ما جعَلنا نَقِف مُتَعجبين مُندهشين لتلك المشابهة الفريدة.

.4.3.. المطلب الرابع: مَلامِح الرومانسية في الحب وبكاء الزوجة عند نزار قباني:

كتب نزار قباني لزوجته أجمل أشعار تحمل بين جنباتها ملامح الشعر الرومانسي بأبهى صوره، فقد تميّزت تلك الأشعار بالخيال الواسع، والعاطفة الجيّاشة، والاشتياق وألم الفراق، وابتكار للصور الممتزجة بالطبيعة، والتمرّد على الواقع والظلم الموجود، مُستَخدِماً الرمز والإيحاء والغموض الذي يتميز به الشاعر الرومانسي لتفريغ تلك الشحنات العاطفية المختزنة في صدره.

.1.4.3. مَلمَح الخيال الجامِح واِستِحضار المحبوبة:

استخدم نزار قباني الخيال الواسع ووظفه في استِحضار زوجته وحبيبته التي لاتفارقه أبداً، وكان مِن طبيعة الشاعر الرومانسي استحضار المحبوبة ونسج قصص من الخيال والحوار القصصي مع المحبوبة لعلّ هذا يخفف من ألم الفراق والاشتياق.

فنزار ينتظر قدوم زوجته إلى البيت لتطرق الباب كعادتها، وتدخل المنزل بابتسامتها الساحرة الجميلة والتي تشبه في جمالها روعة الأزهار وسِحرها، لتجلِس مع نزار وتشرب الشاي العراقي الذي اعتادا أن يشرباه معاً:

"هل تَقرعين الباب بعد دقائق؟

هل تخلَعين المعطف الشتوي؟

هل تأتين باسمة

ناضِرة

ومشرقة كأزهار الحقول؟

بلقيس

هذا موعد الشاي العراقي المعطّر

فَمَن سيوزع الأقداح....أيتها الزرافة؟"

(قباني: الشعرية الكاملة2، 1998: 30-35)

إن محبوبة نزار حاضرة أمامه بخياله الواسع، إنها زهرة الحقول الجميلة، وكالزرافة الجميلة في اِمتِشاق قامتها، وهنا يتكامل الخيال الواسع مع الطبيعة وأدواتها لتشكل مَلمحاً من ملامح الشعر الرومانسي المبدِع.

.2.4.3.. مَلمح عاطفة الحب السّامية:

العاطفة الجياشة الصادقة السامية كانت مِن أهم ملامح الشعر الرومانسي، ففي القلب تجتمع المشاعر العاطفية، ومنه تنطلق، وكانت عاطفة نزار قباني في أشعاره التي عبّر فيها عن حبه واشتياقه لزوجته، تحمل مشاعر دفينة تتوهّج وتتجدد كل حين، فهو لم يستطع أن يكتم شوقه إليها بعد أن فارقته،

وكانت ذلك مرتبطاً بتذكّر تفاصيل الحياة اليومية التي كان يعيشها مع زوجته في بيتهما، تلك التفاصيل أشعَلت في نفس نزار قباني نار الحب والاشتياق إلى زوجته:

"بلقيس

مشتاقون...مشتاقون...مشتاقون

والبيت الصغير

يُسائل عن أميرته المعطّرة الذيول"

(قباني: الشعرية2، مصدر سابق: 28)

فمِن خلال استخدام الشاعر لكلمة (مشتاقون) وتكرارها، نستطيع أن نلمس مدى حرارة تلك العاطفة التي تتأجج داخل صدر الشاعر، حتى أن البيت الذي كانا يعيشان فيه قد افتقد لبلقيس الأميرة الجميلة والزهرة المنعِشة الرّائحة، وإن بلقيس لم تكن عند نزار قباني الزوجة فقط، فهي حياته بأكملها:

"يا زوجتي

وحبيبتي...وقصيدتي...وضياء عيني

قد كنتِ عصفوريتي الجميلة

فكيف هربت يا بلقيس مني؟"(قباني، المصدر نفسه: 34)

لقد كانت قصائده ونور عينه، وبذلك فقَدَ نزار كل مايملك وكل ما يحبه في هذه الدنيا

"ستظل أجيال من الأطفال

تسأل عن ظفائرك الجميلة

وتظل أجيال من العشاق

تقرأ عنك...أيتها المعلمة الأصيلة"(قباني: المصدر نفسه: 86)

وهنا نرى كيف حوّل نزار قباني عاطفة حبه لبلقيس إلى عاطفة سامية، ورمز للجمال والحب، سيتذكرها الصغير والكبير؛ نعم، لقد أعظَمَ نزار مِن شأن وقيمة المحبوبة، وأغدَقَ عليها أرقى أنواع العواطف الإنسانية التي يتميز بها الشعر الرومانسي.

3.4.3. مَلمح الرّمز والغُموض:

لقد عبّر نزار في شعره عن عميق غضبه من الذين قتلوا زوجته، واستخدم في ذلك الرمز والإيحاء بشكل إبداعي، فهو لا يعطي المعنى المراد بشكل مباشر، بل يترك للمستمِع والقارئ فهمَ ما بين السطور، فاستطاع نزار بذلك التعبير عن غضبه وسخطه من الواقع الموجود:

"بيروت....تقتل كل يوم واحداً منّا

وتبحث كل يوم عن ضحية

والموت....في فنجان قهوتنا

وفي مفتاح شقتنا

وفي أزهار شرفتنا

وفي ورق الجرائد

والحروف الأبجدية"(المصدر نفسه، 22)

وهنا يتجلى الرمز الذي استخدمه الشاعر في القتل الذي يحصل في الأمة العربية، وقد استخدم إيحاءات رمزية مختلفة بهدف إيصال فكرته التي يريدها.

فهم يقتلون الفجر الضاحك والأمل (فنجان قهوتنا)

ويقتلون السكينة العائلية (مفتاح شقتنا)

ويقتلون الجَمال المشرِق (أزهار شرفتنا)

ويكتمون الأفواه والإعلام (ورق الجرائد)

ويقتلون الكتابة ويقيدونها (الحروف الأبجدية)

فنزار قد تمرّد على الواقع المتخلف الموجود، والذي يكاد يقتل كل شيء بجهله وغطرسته، مُستخدماً بذلك الأسلوب الرمزي والإيحاء والغموض للوصول إلى غايته.

.4.4.3.. مَلمح التّجديد في شكل ومضمون القصيدة:

ذكَرنا سابقاً بأن المدرسة الرومانسية كان مِن أهم مطالبها في الشعر، هو التّمرّد على شكل ومضمون القصيدة القديم، فالشاعر الرومانسي عاطفته جيّاشة، وخياله واسع، وانفعالاته لا يمكن أن تضبطها رتابة ونظام القصيدة العمودية مِن حيث الوزن والقافية والمساواة في السطر الشعري، وغير ذلك من الأمور التي قد تقيّد الشاعر، فنرى أن نزار قباني قد كان مِن الشعراء المجددين للقصيدة، فقد اهتم بالتشكيل الموسيقي الذي كان ينبع من انفعالاته الداخلية، وكانت الوحدة العضوية الفنية التعبيرية عنده تعتمد على تناسق الألفاظ، ورقّة الصّياغة في الموسيقا الداخلية، والتي بدورها تتكامل مع الموسيقا الخارجية بجمال المعنى وانسيابية النّغَم، وهذا التكامل كان هو الأساس في الوحدة العضوية للقصيدة عند نزار.

وكذلك لم يلتزم بنظام ثابت للقافية (الحرف الأخير) فقد نوّع في ذلك، والتنوع في الإيقاع يُذهِبُ الملل الذي قد يحصل عند المستَمِع، فكانت مساحة الكلمة عند نزار قباني مساوية لمساحة الانفعال، وفي كتابة (قصتي مع الشعر) يذكر في هذا الصدد "تحررت القصيدة الحديثة موسيقياً من الجبرية...ووثنية القافية الموحدة، وكسرت إشارات المرور الحمراء التي كانت تعترض حركتها، وتقص أجنحة حريتها" (قباني: قصتي، مصدر سابق: 203).

"ومن المرايا تطلعين

ومن الخواتم تطلعين

ومن القصيدة تطلعين

من الشموع

من الكؤوس

من النبيذ الأرجواني

بلقيس...يا بلقيس

يا بلقيس

لو تدرين ما وجع المكان

في كل ركن

أنت حائمة كعصفور

وعابقة كغابة بيلسان"

(قباني: الشعرية2، مصدر سابق: 43)

نلاحظ هنا أن الشاعر قد نوّع في الحرف الأخير(القافية) ، ولم يلتزم بحرف واحد كعادة الشعر القديم، فنوّع حسب الحاجة والمعنى والإحساس والانفعال، وكان تكرار بعض الكلمات(تطلعين) بمثابة الرّونق الموسيقي والمعنوي الذي يؤكّد على جمالية المعنى والإحساس الذي يُنشِده الشاعر.

ومن خلال تلك الملامح الرومانسية التي اخترناها من أشعار نزار التي قالها لحبيبته بلقيس التي عشقها وتزوجها وفارقَها، وكان فراقها بمثابة الموت لنزار، فهي كانت حياته وسعادته، فإننا نرى أن الشاعر استذكر محبوبته واستحضرها في تفاصيل حياته، فهي وإن فارقته جسداً، ولكنها لم تفارقه روحاً، فعِشنا مع كلمات الشاعر ولمسنا تلك العاطفة والشوق والذكريات الجميلة، فمحبوبته زهرة جميلة فوّاحة

العطور، يشتاق إليها وإلى تلك التفاصيل التي كانت أجمل أوقات حياته، بل الشاعر ينتظر محبوبته أن تطرق الباب وتدخل البيت وتعلّق المعطف ثم تشرب الشاي معه، وتعبّر هذه السّمات الشعرية عن أجمل وأروع أنواع الشعر الرومانسي الذي يَطرق الفؤاد، ويُؤجّج الخيال و العواطف.

.5.3.. المطلب الخامس: أوجُه التشابه والاختلاف بين ديك الجن الحمصي ونزار قباني:

بالرغم مِن التّباعُد الزماني بين الشاعرَين، إلا أنّ الظروف المختلفة التي أحاطت بهما، وأثّرَت على الشعر لديهما، جعَلَت المقاربة شديدة عند كليهما.

.1.5.3.. أوجُه التشابه:

1- كان كلا الشاعرَين عَلَماً مِن أعلام الحب والعشق والغَزل.

2- تأثّر كلا الشاعرَين بشكل كبير بالظروف السياسية التي رافَقَت مسيرة حياتهما، وغيّرت مجرى الأحداث عند كليهما.

3- اشترَك ديك الجن الحمصي، ونزار قبّاني في مأساتهما، حيث قتَل ديك الجن زوجته التي كان يعشقها، وكان قتله لها بِيده، فندم ندماً شديداً رافقه حتى نهاية عمره، وتمنى الموت بعد فراقها ليصِل إليها.

وكذلك قُتِلَت زوجة نزار قباني في حادثة تفجير السفارة العراقية ببيروت، وكان موتها بمثابة موت الشاعر نفسه، فقد كانت الحياة بدونها دون طعم أو رائحة.

4- البيئة المكانية المحيطة بالشاعرَين في مرحلة مُعيّنة، كان لها الدور الكبير في اتجاه الغزل عندهما إلى الغزل الصريح الماجِن في غالبيته، والذي يطغى فيه الوصف الحسي المادي للمرأة على الوصف المعنوي.

5- الغزل الذي أنشده ديك الجن، وكذلك نزار قباني في حب الزوجة والتألم على فراقها، كان يحمل في طيّاته أجمل ملامح الشعر الرومانسي في خياله الواسع، والنّزعة الذاتية مع الحوار القصصي، واستخدام الرمز والإيحاء والطبيعة، وإبداع صور مبتكرة وشحنها بعواطف إنسانية حارة.

6- كان هنالك اشتراك روحي، واستِحضار عجيب، وذلك مِن قِبَل نزار قباني للشاعر ديك الجن، حيث أطلق نزار على إحدى قصائدة اسم قصيدة (ديك الجن الدمشقي) وذلك تيَمّناً بديك الجن في لقبه وشِعره، وقد كان مُحتوى تلك القصيدة بِكلّ ما تحويه من معان ومشاعر وندم وألم، هو نفسه ما آلت إليه حال نزار قباني بعد كتابته لتلك القصيدة بخمسة عشر عاماً، فبذلك اشترك الشاعران بالمأساة نفسها في كتابة الشعر، وفي الحقيقة أيضاً.

7- اِشترك الشاعران في أشعارهما بالابتعاد عن المقدمة الطلَلية، والتي كان يتميّز بها الشعراء القدامى، وكانت وحدة الموضوع هي الغالبة.

.2.5.3.. أوجُه الاختلاف:

1- بالرغم من التشابه في الغزل الصريح عند ديك الجن ونزار قباني، إلا أن نزار قباني لم يصل في شعره الغزلي إلى الدرجة التي وصل إليها ديك الجن الحمصي في شعره الشاذ (المذكر والحيوان).

2- كان التجديد في شكل القصيدة عند نزار قباني واضحاً وضوح الشمس، وذلك مِن حيث القافية والوزن والسطر الشعري، وغير ذلك من أنظِمة القصيدة في الشعر القديم.

3- كان ديك الجن معارِضاً للسلطة الحاكمة، ومؤيداً بشكل صريح وعَلني لآل البيت الذين كانوا يمثلون التيار المعارض في تلك الفترة.

أما نزار قباني فقد صرّح بأنه لم ينتسب لتيار أو حزب أو تكتلات، وإنما كان انتسابه الوحيد إلى دولة الإنسان أولاً وأخيراً.

4- جميع أشعار نزار قباني في الغزل وغيره مِن الآثار الأخرى، تمّ جَمعها وتدوينها وحفظها في حياة الشاعر وقبل وفاته.

أما أشعار ديك الجن الحمصي فلم يصل إلينا إلا القليل منها، ولم يتم جمعها وحفظها في دواوين ومخطوطات إلا منذ وقت قريب في عصرنا الحالي وبمحاولات خجولة، والأشعار التي حُفِظَت في تلك الدواوين كانت على شكل أبيات مفردة أو مقطوعات قصيرة، ولعل ضياع الموروث الشعري لديك الجن، وعدم أخذه القدر الكافي من الدراسة والتحقيق بالرغم من أنه كان من الشعراء المجيدين في عصره، قد يكون سببه طبيعة الحياة الدينية والسياسية لديك الجن، وكذلك معارضته العَلنية للسلطة الحاكمة، وغربته الروحية الناتجة عن الخوف مِن الاعتقال، وإسرافه في مرحلة معينة في اللهو وحياة الترف والخمرة، وكذلك الندم والحسرة التي عاشها بعد قتله لزوجته وظلمِه لها، فقد عاش في تلك الحسرة والندم والألم حتى مَماته.

الخاتمة

وفي ختام بحثنا الذي تناولنا فيه شِعر الغزل، وكذلك الرومانسية بِما تحمله مِن معان ودلالات، رأينا أن الشعر الغزلي قد تطوّر عبر العصور، وكان ذلك التطور مرتبطاً بالبيئة وطبيعة المجتمع، وكذلك بمدى الانفتاح والتقدم الذي أصاب ذلك العصر في مُختَلف المجالات.

والرومانسية قد ظهرَت في العصر الحديث على شكل مذهب نظري نتيجة عوامل عدة، ولكنها كانت موجودة في بعض سِماتها وملامحها عند الشعراء العرب منذ القديم، وأنصار مذهب الرومانسية في العصر الحديث شَنّوا هجوماً قوياً على أنصار المدرسة الكلاسيكية التي تدعو إلى اِتباع القدماء في نظام ورَتابة القصيدة العمودية، فالرومانسي بِخياله الواسع، وعاطفته الجياشة، واِنفعالاته النفسية، لا يستطيع التقيد بتلك القوانين الثابتة، والتي يراها وكأنها أداة تقتل الشعر وتقيده.

وبعد دراسة الباحث للظروف المحيطة بالشاعرَين: ديك الجن الحمصي، ونزار قباني، وتأثير تلك الظروف على شخصية وشِعر الغزل لديهما، وكذلك الأسباب التي أدت إلى ظهور ملامح الشعر الرومانسي عندهما، توصّلَ إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي كالآتي:

النتائج:

- الغزل أدب وجداني يعبر عن الأحاسيس في الحب، وهو مِن أرقى الفنون الأدبية، حيث أنه مرتبط بالعاطفة والمشاعر الإنسانية التي تُنتِج أشعاراً ذات سحر وجمال.
- تنوّعَ الشعر الغزلي، وكان ذلك التنوع مرتبطاً بالبيئة والظروف المحيطة بالمجتمع في المجالات كافة.
- انقسم الغزل بشكل رئيس إلى قسمَين هما: الغزل العفيف الطاهر الذي يصف الجانب المعنوي، والغزل الصريح الذي يصف الجانب المادي الحسي في المرأة.

– في العصر الجاهلي، لم يكن الغزل فنّاً مستقلاً بِذاته، وإنما كان غرضاً من الأغراض المتعددة في القصيدة، وقد تميّزت القصائد في ذلك الوقت بالمقدمات الغزلية الطّلَلية التي يكون مضمونها الغزل بالحبيبة ووصف وتذكّر الديار والأطلال، وقد وُجِد الغزل العفيف المتأثر بالعادات والقبائل البدوية والموروث، إلى جانب الغزل الصريح أيضاً.

– لم يُحَرّم الإسلام شعر الغزل، وإنما دعا إلى تَهذيبه وربطِه بالأخلاق الكريمة و تعاليم الإسلام، والبعد عن الفحشاء والمنكر، لذلك كان الغزل العفيف في عصر صدر الإسلام أكثر انتشاراً من الغزل الصريح الماجِن.

– في العصر الأموي، ازدهر الغزل في منطقة الحجاز خاصة، وذلك نتيجة التطورات السياسية والاقتصادية، مما أدى إلى ظهور الغزل الحَضري المادي إلى جانب الغزل الغزل العفيف المعنوي، ولكن الغزل الحضري في هذا العصر كان أكثر انضباطاً في عدم الإفراط والمبالغة في وصف المرأة.

– تميّز العصر العباسي عن غيره من العصور في مجال الغزل، وذلك نَظَراً للتطورات الهائلة التي أصابت المجتمع، فالازدهار الحضاري، والاختلاط والانفتاح على ثقافات وشعوب أخرى، والانتشار الكبير لأماكن اللهو والتّرَف والخمرة، كل هذا كان سبباً في ظهور أنواع جديدة وغير مألوفة في الغزل سابقاً، كالغزل بالمذكر والغزل الشاذ الذي يستنكره الناس، والغزل الإباحي المفرِط بالجواري.

– الرومانسية كَمَذهب نظري، ظهرَت بداية في أوربا في العصر الحديث، ثم بعد ذلك انتقلت إلى الأدب العربي نتيجة عوامل متعددة، مِن أهمها الاحتكاك بالغرب بالدرجة الأولى ، ولكن بعض ملامح الرومانسية في شعر الغزل، كانت موجودة منذ القديم لدى بعض الشعراء العرب.

– تميّزت أشعار الغزل والحب لدى الرومانسيين العرب بِسِمات عدة، مِن أبرزها عاطفة الحب السامية، والخيال الواسع، والاستئناس بالطبيعة، والإغراق في الذاتية، والتجديد في شكل ومضمون القصيدة، والإكثار من استخدام الرمز والصور المبتَكَرة وشحنها بعواطف إنسانية حارة.

– كان ديك الجن الحمصي مِن أبرز الشعراء المجيدين في العصر العباسي، وقد شَهِد بذلك العديد مِن العلماء والمؤرخين الذين عاصروا ديك الجن أو جاؤوا بعده، ولكننا وجدنا أن ذِكرَ ديك الجن يرتبط بالدرجة الأولى بقصة حبه لزوجته وقتلها، وكذلك ما أنشده لها مِن أشعار بَقيَت خالدة حتى وقتنا الحالي، وفي الوقت نفسه نجد ضياعاً للموروث الأدبي والشعري لِديك الجن، كما أنه لم يأخذ حقّه كَغَيره مِن شعراء عصره في الدّراسة والتحليل والنقد في كتب الأدب العربية المختلفة.

– لعلّ ضياع الموروث الأدبي لديك الجن الحمصي مُرتبط بشخصيته التي كان يتمتع بها، وذلك من حيث معارضته للسلطة الحاكمة في العصر العباسي، وموالاته العَلَنية لتيار المعارضة آنذاك المتمثل بآل البيت ومدحهم ورثائهم، وكذلك الغُربة الروحية التي كان يعيشها بسبب مواقفه السياسية وإسرافه في اللهو والمجون ومجالس الخمرة، وما آلت إليه حال الشاعر بعد أن قَتل زوجته التي كان يعشقها، وندم على قتلها بعد أن اكتشف ظلمه لها، فَعاش باقي سنوات حياته في حالة نفسية وذهنية كئيبة، مُتمنياً الموت للقاء محبوبته.

– بالرغم من تعدد أنواع الغزل لدى ديك الجن، وإغراقه في الإباحية والغزل الشاذ (المذكر والحيوان) في مرحلة معينة مِن حياته، إلا أنه أنشد أروع أبيات رومانسية في الحب والغزل لزوجته ورد، وكان مِن أبرز الشعراء الذين مزجوا الغزل بالرثاء والبكاء على الزوجة، فتَداخَلَ لديه غرض الغزل والرثاء في قالَب فني واحد لايمكن الفصل بينهما، فَهما مَظهَر واحد لِتجربة ذاتية لدى الشاعر.

– الشاعر نزار قباني أحد أشهر شعراء الحب والغزل في العصر الحديث، فهو شاعر المرأة والوطن، وكان الوطن عنده عشيقة، ولكنها أجمل من كل العشيقات، تأثّر نزار بالظروف البيئية والسياسية، مُتنقلاً بين البلدان، رافضاً للظلم والتخلف والعدوان، فَنوّع في شعره الصريح الماجن، والعفيف المعنوي، اِبتعد نزار عن التعصب الحزبي أو التكتلات السياسية والطائفية، معتزّاً بنزعته القومية، فالدول العربية جميعها هي دولته، فهو ينتسب إلى دولة الإنسان.

– أنشدَ نزار قباني أروع أبيات شعرية في الحب والغزل الرومانسي لزوجته بلقيس، والتي قُتِلت في حادثة تفجير السفارة العراقية ببيروت، مُستخدِماً في تلك الأبيات أروع معاني الحب الرومانسي، بعاطفته الجياشة، وخياله الواسع، وتمرّده على الواقع، ونزعته الذاتية، واستخدامه للرمز وتوظيفه من أجل إيصال إيحاءات تصِل إلى أصحابها بشكل مباشر أو غير مباشر، مُتَمرّداً على شكل القصيدة القديم ومضمونها، مجدداً فيها بأسلوب يسمح للشاعر بتوظيف انفعالاته دون قيد أو شرط.

التّوصيات:

بِناء على النتائج التي توصّل إليها الباحث، فإنه يقترح:

– إجراء دراسات مُعَمّقة تتناول الإسلام بِتَعاليمه الدينية وأثره في شِعر الغزل والمرأة.

– إجراء دراسات تُركّز على الانفتاح الكبير على الثقافات المغايرة، والاختلاط بالشعوب الأخرى، وأثر ذلك في شِعر الغزل، مع التركيز على العصر العباسي في مرحلته الأولى.

– الإكثار مِن الدراسات في مجال التحليل الفني لِنَماذج شعرية متعلقة بالغزل الرومانسي على وجه الخصوص، لإبراز التفاصيل والملامح الدقيقة لجماليات هذا النوع مِن الشعر.

– بِسَبَب ندرة المصادر التاريخية بشكل عجيب، والمتعلقة بالموروث الشعري والأدبي للشاعر ديك الجن الحمصي، يوصي الباحث إجراء دراسات جديّة في الأسباب التي دعَت إلى هذه النّدرة الملحوظة.

– ضرورة البحث عن مخطوطات للشاعر ديك الجن الحمصي، قد تكون موجودة في مكان ما، والعمل على جَمع الموروث الشعري في ديوان يُكمِل النّقص الواضح الموجود في الدواوين التي جُمِعَت في السنوات الأخيرة مِن عصرنا الحالي، والتي ظهَر فيها الخلاف واضحاً بين المحققِين لتلك الدواوين، وذلك بسبب إهمال نوع معيّن في شعر ديك الجن وعدم حفظه في الديوان، ويبدو في تلك الدواوين أن الشعر الموجود عبارة عن أبيات شعرية مُفرَدة مأخوذة ومُقتَطَعة مِن قصيدة، وهنا تبدو الفجوة واضحة.

– أخيراً، وفي خِضَمّ الظروف والأحوال التي تمر بِعالَمِنا، والمليئة بالحروب وويلاتها، يوصي الباحث بالإكثار من البحوث العلمية التي تَحمِل في طَيّاتِها الحبّ والعواطف الإنسانية، والسّلام الداخلي.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي ربيعة، عمر، *ديوان عمر بن أبي ربيعة*، تح: أحمد طباع، بيروت: دار العلم، 1986.
2. ابن أبي ربيعة، عمر، *ديوان عمر بن أبي ربيعة*، شرح: يوسف فرحات، بيروت: دار الجيل، 1992.
3. ابن الملوح، قيس، *قيس بن الملوح مجنون ليلى*، تح: يسري عبد الغني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999.
4. ابن جعفر، قدامة، *نقد الشعر*، لندن: مطبعة بريل، 1956.
5. ابن حجر، امرؤ القيس، *ديوان امرئ القيس*، تح: درويش الجويدي، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2008.
6. ابن زهير، كعب، *ديوان كعب بن زهير*، شرح ودراسة: مفيد قمحية، الرياض: دار الشواف، 1989.
7. ابن معمر، جميل، *ديوان جميل شعر الحب العذري*، تح: حسن نصار، ط2، مصر: دار مصر، 1967.
8. أبو رحاب، حسان، *الغزل عند العرب*، ط1، مصر: مطبعة مصر، 1947.
9. أبو ماضي، إيليا، *ديوان إيليا أبي ماضي*، تح: سامي الدهان، بيروت: دار العودة، 2002.
10. أبو نواس، الحسن بن هانئ، *ديوان أبي نواس*، تح: محمد التونجي، بيروت: دار الجيل، 1997.
11. أبوعلي، نبيل، *نزار قباني شاعر المرأة والسياسة*، القاهرة: دار مدبولي، 1998.
12. أحمد، محمد، *في أدب ونصوص العصر الأموي*، ط1، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1982

13. الأبشيهي، شهاب الدين، *المستطرف في كل وقت مستظرف*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986.

14. الأصفهاني، أبو فرج، *الأغاني*، ج14، القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1952.

15. البستاني، بطرس، *أدب العرب في الجاهلية والإسلام*، بيروت: دار الجيل، 1989.

16. البهيتي، نجيب، *تاريخ الشعر العربي*، القاهرة: مطبعة الكتب المصرية، 1950.

17. التلمساني، شهاب الدين، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تح: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار صادر، 1997.

18. الجابري، محمد صلاح، *الشعر التونسي المعاصر*، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1974.

19. الجندي، علي، *في تاريخ الأدب الجاهلي*، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، 1991.

20. الجويدي، درويش، *موسوعة جبران خليل جبران*، بيروت: الدار النموذجية للطباعة، 2011.

21. الحمصي، ديك الجن، *ديوان ديك الجن*، تح: عبد المعين الملوحي، ومحي الدين الدرويش، حمص: مطابع الفجر، 1960.

22. الحمصي، ديك الجن، *ديوان ديك الجن الحمصي*، تح: مظهر الحجي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004.

23. الحمصي، ديوان ديك الجن، *ديوان ديك الجن*، تح: أحمدومطلوب، وعبد الله الجبوري، بيروت: دار الثقافة، 1964.

24. الخطيب، حسان، *نزار قباني أمير الحرية وفارس العشق*، بيروت: منشورات ضفاف، 2014.

25. الخير، هاني، *قصائد صنعت مجدي وقصائد تعرضت لقص الرقيب*، الجزائر: دار فليتس، 2008.

26. الدسوقي، عبد العزيز، *جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث*، مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971.

27. الدسوقي، عمر، *في الأدب الحديث*، ط6، القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1950.

28. الزركلي، خير الدين، *الأعلام*، ج2، ط8، بيروت: دار العلم للملايين، 1979.

29. السحار، سعيد، *موسوعة أعلام الفكر العربي*، مصر: مكتبة الفجالة، 1997.

30. السياب، بدر شاكر، *ديوان أنشودة المطر*، بيروت: دار العودة، 1981.

31. الشابي، أبو القاسم، *ديوان أبي القاسم ورسائله*، تح: مجيد طراد، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1994.

32. الشكعة، مصطفى، *الأدب في موكب الحضارة الإسلامية*، ط6، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1973.

33. الشكعة، مصطفى، *في رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية*، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997.

34. الشنتمري، الأعلم، *أشعار العرب السنة الجاهليين*، تح: لجنة التراث العربي، ج1.ط3، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1983.

35. الصمادح، منور، *الأعمال الشعرية الكاملة*، ط1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1955.

36. الصولي، محمد، *أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم*، ط1، القاهرة: مطبعة الصاوي، 1936

37. الطائي، ابن أوس، *ديوان أبي تمام*، تح: محي الدين صبحي، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997.

38. الطائي، الوليد بن يحي، *ديوان البحتري*، تح: حسن الصيرفي، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1963.

39. الطريفي، يوسف، *شعراء العرب العصر الجاهلي*، ط1، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006.

40. العسكر، عبد المحسن، *شعر الغزل ونظرة سَواء*، الرياض: دار المنهاج، 2010.

41. العقاد، عباس محمود، *شاعر العزل عمر بن أبي ربيعة*، مصر: دار المعارف للطباعة والنشر، 1951.

42. العلوي، ابن طباطبا، *عيار الشعر*، تح: محمد سلام، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1980.

43. القالي، أبو علي، *الأمالي*، بيروت: دار الكتب العلمية، 2010.

44. القط، عبد القادر، *الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر*، القاهرة: مكتبة الشباب، 1978.

45. القط، عبد القادر، *في الشعر الإسلامي والأدبي*، بيروت: دار النهضة العربية، 1979.

46. القيرواني، ابن رشيق، *العمدة*، ج1، القاهرة: دار الجيل، 1981.

47. الملائكة، نازك، *قضايا الشعر المعاصر*، ط6، بيروت: دار العلم للملايين، 1981.

48. الهاشمي، أحمد، *جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب*، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 2004.

49. الهواري، أحمد، *نقد الرواية في الأدب العربي*، مصر: دار المعارف، 1983.

50. الهواري، صلاح الدين، *المرأة في شعر نزار قباني*، بيروت: دار النجار، 2001.

51. الورقي، سعيد، *لغة الشعر العربي الحديث*، مصر: دار المعارف، 1983.

52. بركة، إقبال، *الحب في صدر الإسلام*، القاهرة: دار قباء، 1998.

53. بشرى وخضرة، عثمان وكرومية، *الشعر الرومانسي بين التأثر والتأثير مقارنة نموذجية بيتتوماس إليوت وبدر السياب*، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة عبد الحميد باديس، 2018.

54. بكار، يوسف، *اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري*، ط1، بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر، 2009.

55. بلاطة، عيسى، *بدر شاكر السياب حياته وشعره*، بيروت: دار النهار للنشر، 1971.

56. تبرماسين، عبد الرحمن، *البنية الإيقاعية المعاصرة في الجزائر*، ط1، الجزائر: دار الفجر للنشر، 2003.

57. تيغيم، بول، *الرومانسية في الأدب الأوربي*، ترج: صباح الجهيم، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1981.

58. جبران، خليل، *المجموعة الكاملة*، تح: أنطون القوال، بيروت: دار الجيل، 1994.

59. جعفر، سعاد، *التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان*، رسالة ماجستير، القاهرة: جامعة عين شمس، 1973.

60. خليل، إبراهيم، *مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث*، ط1، عمان: دار المسيرة للنشر، 2003.

61. خليل، يوسف، الحب المثالي عند العرب، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، 1961.

62. زلط، عبد الرحيم، *التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة*، الرياض: دار اللواء، 1983.

63. زيدان، جرجي، *تاريخ آداب اللغة العربية*، مصر: دار الهلال، 1983.

64. سعيد، علي أحمد، *الشعرية العربية*، بيروت: دار الآداب، 1985.

65. شعبو، أحمد ديبو، *في نقد الفكر الأسطوري والرمزي*، لبنان: مؤسسة الحديثة للكتاب، 2006.

66. ضيف، شوقي، *العصر العباسي الأول*، مصر: دار المعارف، 1966.

67. ضيف، شوقي، *النقد الأدبي*، ط2، مصر: دار المعارف، 1966.

68. ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي*، القاهرة: دار المعارف، 1973.

69. طليمات وأشقر، غازي وعرفان، *الشعر في العصر العباسي الأول*، الإمارات: قنديل للطباعة والنشر والتوزيع، 2018.

70. طوقان، فدوى، *ديوان وحدي مع الأيام*، ط2، بيروت: دار المعارف، 1974.

71. عباس، مراد، *مدارس الشعر العربي الحديث بين النظرية الغربية والتطبيق العربي*، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003.

72. عبد الجبار، عبد الله، *قصة الأدب في الحجاز*، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1958.

73. عبد الحكيم، حسان، *مذاهب الأدب في أوربا*، ط2، مصر: دار المعارف، 1976.

74. عبد الفتاح، كاميليا، *القصيدة العربية المعاصرة*، مصر: دار المطبوعات الجامعية، 2006.

75. عتيق، عبد العزيز، *علم البيان*، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة، 1982.

76. علي، عبد الرحمن، في الأدب العصر الإسلامي والأموي، مصر: دار الكتاب الحديث، 2005.

77. غزوان، عناد، *المرثاة الغزلية في الشعر العربي*، ط1، بغداد: مطبعة الزهراء، 1974.

78. فاخوري، حنا، *الجامع في تاريخ الأدب العربي*، بيروت: دار الجيل، 1986.

79. فتوح، محمد، *الرمز والرمزية في الشعر المعاصر*، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1984.

80. قباني، نزار، *قصتي مع الشعر*، لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1970.

81. قباني، نزار، *الأعمال الشعرية الكاملة*، ج1، بيروت: منشورات نزار قباني، 1993.

82. قباني، نزار، *الأعمال الشعرية الكاملة*، ج4، بيروت: منشورات نزار قباني، 1998.

83. قباني، نزار، *الأعمال النثرية الكاملة*، ج7، بيروت: منشورات نزار قباني، 1999.

84. قباني، نزار، *الأعمال السياسية الكاملة*، ج3، ط6، بيروت: منشورات نزار قباني، 2000.

85. قبش، أحمد، *تاريخ الشعر العربي الحديث*، بيروت: دار الجيل، 1971.

86. كندي، محمد علي، *الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث*، بيروت: دار الكتاب الجديد، 2003.

87. محمد، سراج الدين، *الغزل في الشعر العربي*، بيروت: دار الراتب الجامعية، 2000.

88. مطران، خليل، *ديوان الخليل*، ج1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1967.

89. معاليقي، منذر، *أدب عرب الجاهلية*، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2012.

90. ناصر، محمد، *الشعر الجزائري الحديث*، الجزائر: عالم المعرفة للنشر، 2013.

91. نشاوي، نسيب، *مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر*، رسالة دكتوراه، الجزائر: دار المطبوعات الجامعية، 1984.

92. هلال، محمد غنيمي، الرومانتيكية، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، 2003.

93. يعقوب، وآخرون، *قاموس المصطلحات اللغوية الأدبية*، ط1، لبنان: دار العلم للملايين، 1987.